البيان

مجلة أدبية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين منذ عام 1966

العدد 641 ديسمبر 2023

«بانت فيلكا»

لوحة الفنان التشكيلي والمؤرخ الراحل أيوب حسين الأيوب رحمه الله

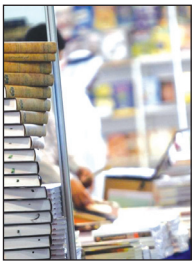

ما الكتب التي نبحث عنها في معرض الكتاب؟

(6 - 4)

الشاعر عبدالمنعم رمضان: شرط قصيدة النثر بلوغ أقصى البراءة.. و«الأقصى» لا آخر له

(15 - 11)

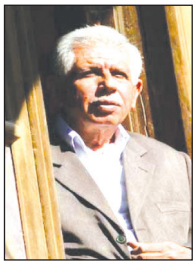

«٣ سكيتشات قصصية» خاصة لـ «البيان» من الأديب العراقي محمد خضير

(21 - 20)

العدد 641
مجلة أدبية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين

صدر العدد الأول في أبريل 1966

رئيس التحرير:
حميدي حمود المطيري

سكرتير التحرير:
أفراح فهد الهندال

موقع رابطة الأدباء على الانترنت:
www.alrabeta.org

ثمن العدد:
دينار كويتي أو ما يعادله
من العملات الأخرى

المراسلات:
رئيس تحرير مجلة البيان
ص.ب: 34034 العديلية
الرمز البريدي 73251
هاتف المجلة: 0096522518286
هاتف الرابطة:
22518282/ 22510602

• المواد المنشورة تعبر عن رأي كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

• تُقدّم إسهامات الكتّاب باسم رئيس التحرير مع السيرة الذاتية للكاتب المرفقة بمستند رسمي يثبت صحتها بوسيط تخزين **USB** أو تُرسل إلى البريد الإلكتروني للمجلة.

• للمجلة الحق في نشر أو عدم نشر المواد الواردة إليها من دون ذكر الأسباب.

المحتويات

ضوء

* كفانا من الحرب.. نريد الحياة
د. عبدالصمد الكباص 3

تحقيق

* ما الكتب التي نبحث عنها في معرض الكتاب؟
المحرر الثقافي ..... 4 - 6

مسبار

* حنظلة باقٍ.. وعمر الاحتلال قصير
المحرر الثقافي 7

حوار

* تسنيم الحبيب: لا تقلقني «الفكرة المطروقة».. فلكل كاتب أسلوبه الخاص – المحرر الثقافي..... 8 - 10
* عبدالمنعم رمضان: شرط قصيدة النثر بلوغ أقصى البراءة.. و«الأقصى» لا آخر له
محمد حسني حليوة..... 11 - 15

دراسة

* فلسطين في الشعر الكويتي – د. خليفة الوقيان ..... 16 - 17

شعر

* رحلة على الطائرة - فلاح محمد البحيري..... 18
* نفحة من عطر أمي - هبة الفقي..... 19

سرد

* 3 سكيتشات قصصية – محمد خضيّر ..... 20 - 21
* أهرب من ظلّي – موسى أبو ريّاش 22

نقد

* التقاطات ليلى العثمان في «قصيرةٌ جدا»
نجاح إبراهيم 23
* علي المسعودي وقراءة في كتاب «مذكرات طالب حلم»
- د. نزار العاني ..... 24 - 25
* تشكيل الشخصية في روايات خالد النصرالله – كمال عبدالرحمن ..... 25 - 26

رؤى

* موت «موت المؤلف» -عبدالرحمن حلّاق 27
* طه حسين والقضية الفلسطينية - د. نجاة علي..... 28

ترجمة

*خورخي بورخيس: الكتابة قَدَري الوحيد
نبيل موميد 29

كلمة «البيان»

جذور تنمو رغم الحصار

«نحن الثورة والغضب.. نحن أمل الأجيال»، أعادت صرخة الأبناء من الطلبة والطالبات في مدارس الكويت مشاهد الأمس التي ما زالت تعيش في وجدان الوطن وذاكرته، أجيال ما زالت تحمل، منذ عقود، القضية بأسماء ترعرت بهذا الوعي الكويتي الأصيل، والتي تشكّلت روابطها منذ البعثة التعليمية الأولى في الكويت للمعلمين الفلسطينيين سنة 1936، فلم يكن مستغرباً أن يحمل كويتيون أسماء تشير إلى وعي الأهالي في تلك الحقبة من الزمن، كأسماء البنات «نضال، كفاح، آمال، فداء، نداء» وغيرها من الأسماء التي ارتبطت بالهوية العربية وقضاياها وأحلامها وآمالها، مقرونةً بالحالة الشمولية الكبرى التي تشكّل فيها الموقف الأبقى.

في عام 1957 تم تأسيس «مكتب مقاطعة إسرائيل»، وصدر المرسوم الأميري في 26 مايو 1957 الخاص بمقاطعة البضائع الإسرائيلية، ثم تلاه القانون رقم 21 لسنة 1964 في شأن القانون الموحد لمقاطعة إسرائيل، ثم أعقبه مرسوم أميري بتاريخ 5 يونيو 1967، بإعلان قيام الحرب الدفاعية بين الكويت والعصابات الصهيونية بفلسطين المحتلة، ولا يزال هذا المرسوم قائماً وساري المفعول.

إنه «الوعي»؛ ما تأصّل وتفرّد به موقف الكويت حكومةً وشعباً بشكل خاص تجاه القضية الفلسطينية، حتى تجلّت الخطابات السياسية والإنجازات الأدبية والفنية طوال تلك السنوات، في المنصات والمؤسسات الثقافية ومواقع التواصل، رغم الزخم الإلهائي والترفيهي المُنهال من كل جهة، والمعركة الساعية إلى تضليل الشعوب وتجهيلها من جهات خارجية تحاول طمس الهوية العربية وتفتيت الأواصر وتذويب الانتماءات، فلم يكن مستغرباً أن يهبّ الشعب كاملاً نصرةً للمقاومة والشعب الصامد، دعماً بحملات الإغاثة العاجلة واستمرارية العمل المشترك، وموقفاً مقاطعاً لكل ما يتعلق بالكيان الصهيوني المحتل.

ومن هنا شقّ «أدب المقاومة» طريقه من فلسطين، لتتفرع روافده الثقافية شعراً وسرداً وأدبيات تفيض بالكويت، وتنمو جذورها المتعالقة في تربتها مواكبة الأحداث والوضع الفلسطيني بشكل خاص من بين القضايا العربية، تحمل جذوة النضال والممانعة والمقاومة وتتشابك مع جذور الانتماء، فإن تمكّنت القوى الكبرى من إبعاد الاحتشاد البشري عن الحدود بالحصار؛ تظلّ الكتابة الأدبية والفنون وليدة اللحظة من رحم المعاناة، وأجيالها يتبنّون الهمّ ككتيبة فدائيين، فـ«قصيدة يكتبها شاعر مقاوم تعادل عشرين فدائياً»، كما اعترف وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق موشيه ديان بعد حرب 1967.

وبما أن الجرح الفلسطيني ما يزال نازفاً، وإن واراه خراب المدن ودمار الأراضي، فإننا على يقين من أن مواهب الأجيال ستظل تتفتّق عن قدراتهم العالية للتعبير عن أساه، وصوته الصارخ طلباً للحرية والعدالة ودحر الظلم، جرح مفتوح بذاكرة قرن كامل من الصمود والتمسك بالحق الأساس.

معارض الكتب في زمن الإبادة

كفانا من الحرب.. نريد الحياة

د. عبدالصمد الكباص *

تقام الحروب هنا، ومعارض الكتب هناك. إنها مفارقة محزنة؛ اجتهاد خرافي لدحر قيمة الحياة من جهة، وإصرار على تمجيدها بما تستحق من معنى في الجهة المقابلة.

بين الحرب والكتب، يتصادم العبث في مطلق تجلياته بجدية المعنى، السؤال المتبقي للإنسان لكي يرمم خسائره في الزمن، ملاحقاً آثاره كدليل على الفقد الأصلي.

معارض الكتب في زمن القتل والإبادة، تبدو شيئاً لا يصدق، ومع ذلك ضرورية. لأن معناها في هذا الزمن الصعب، حيث تُزدرى كرامة الإنسان ويتغذى الحقد الهمجي، وتتقوى غريزة الانتقام الأعمى، هو أنها مرثية.

والمرثية يجب أن تقام، لأنها تجمع بين واجب التذكّر والاعتراف بالأجمل والوعد بالاستمرار في الإبقاء عليه مهما حمل الموت من فداحة.

إنها مرثية للإنسان؛ هذا الكائن الذي يعاود فشله المفجع في أن ينقذ نفسه من حالة الطبيعة، مدفوعاً إلى غريزة التدمير. الحرب دائماً وبكل ما تسخّره من ذكاء عقلاني، هي حالة بلادة مقززة. هل هناك ما هو أكثر غباء من صرف الملايين من الدولارات على صاروخ لكي يلقى في النهاية من طائرة بتكاليف أكبر، على رأس طفل يغني نشيداً، أو يحلم بقطعة شوكولا؟!

كل سلاح هو نيّة قتل. لذلك لا ينبغي أن نترك عقيدة الحرب تستفرد بساحة الوجود البشري. الكتب هنا ملحمة كبرى للمقاومة. لأنّها تبني حياة، وتغذّي الأمل. هي كائنات تحيا وتتنفس في خيال وعقول من يقرأها. مثلما هي وعد دائم بسيادة غريزة الحرية التي تتحقق في البناء والإبداع وليس التدمير. كان بورخيس يقول «كل كاتب يخلق أسلافه، وكل كتاب ينطوي على كل الكتب الأخرى»، لذلك كان محقاً في تخيّل الفردوس كمكتبة.

الكُتّاب، بدورهم، يخوضون حرباً عسيرة، هي حرب ضد اللامعنى. يَجُرون الحياة الإنسانية إلى المملكة الرمزية، حيث تودع الأحلام المبهجة في استدامة الحكاية الكبرى، مواجهين الغباء وسيادة القتل كقانون متبقٍّ لهذا الكائن المأسوف عليه الذي يحمل اسم الإنسان. لذلك فكل معرض للكتب، مهما بلغت حدة التقاطبات الأيديولوجية التي تصاحبه هو بمنزلة نداء يقول «كفانا من الحرب... نريد الحياة».

الأمل لا يوجد في أيدي السياسيين ولا قادة الحرب، لأنهم يرهنون أنفسهم بتدبير الواقع، والواقع لديهم هو القوة التي تدعو دائماً إلى أن تُفرّغ في وجه أحد ما. لذلك كانت المعادلة السائدة لديهم هي حفظ السلام بالدم، استمرار الحياة بالجثث، ودفع الناس إلى الموت باسم الدفاع عن حياتهم.

وفي المقابل، ففي كل كتاب يُكتب، وفي كل لقاء يُعقد حول كتاب، هناك بديل ما عن هذه العقيدة... هناك سبل تنفتح، ومسارات تتشكل نحو التقاسم وتعهُّد المستقبل.

* باحث مغربي

فلسطيني يتصفح بعض الكتب تحت الخراب في غزة (NBC NEWS)

تحت وابل الحرب المستعرة وواقع المشهد العربي

ما الكتب التي نبحث عنها في معرض الكتاب؟

رغم توجّه حواس العالم كله نحو فلسطين متابعة للأحداث الدامية والخراب المحلّق بالمنطقة العربية؛ ظلّ الكتاب وجهة ملازمة للتبصر في المشهد والعودة إلى جذور القضية وإعادة تشكيل القراءات وتحديداً للمواقف وتعزيزها، ومواجهة لتحديات المعرفة الاستقصائية والتضليل الإعلامي الذي أسهم تراجع النشر الورقي والانهيال على وسائل التواصل الاجتماعي في تأثيره السلبي.

«البيان» توجهت بأسئلتها إلى بعض الكتّاب والباحثين الكويتيين حول جدوى إقامة تلك المعارض، ونوعية القراءة التي نحتاجها، وعادات الشراء والقراءة، بعيداً عن التقاطات التصوير لـ «غنائم» الكتب وحصد الإعجابات، للموازنة بين هوس التملك وضرورة فهم الواقع بوسائل المعرفة العلمية والمنهجية والمتابعة الواعية، واستخدامها لتشكيل المواقف الإنسانية في هذه الظروف القاسية.

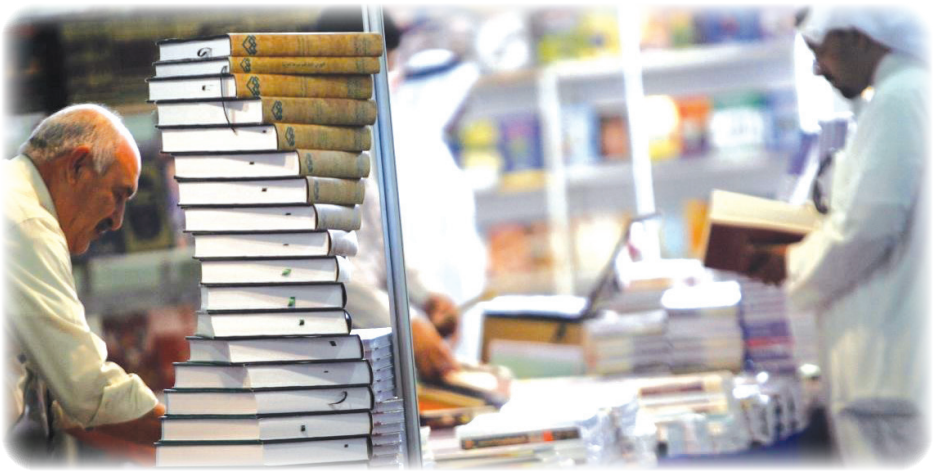

المحرر الثقافي

لم يخفِ الأمين العام السابق لرابطة الأدباء، د. خالد عبداللطيف رمضان، الإحباط الناجم عن فوضى المواقف والأخبار في المشهد العربي، قائلاً: «يأتي معرض الكتاب هذا العام ونحن نعيش وضعاً استثنائياً في وطننا العربي بسبب ما يتعرّض له أشقاؤنا في غزة من قتل وتدمير وتهجير.

ولن يسعفنا ما نبحث عنه من كتب بالمعرض في فهم حالتنا وما يدور حولنا، فالإعلام العالمي يزوّر الأحداث التي نعيشها الآن، فكيف نصدق ما دوّن في كتب التاريخ والسياسة؟ ومللنا هرطقات المتخصصين في الاجتماع وعلم النفس، وما غرسوه من خلال كتبهم المنتشرة في الشباب من مفاهيم غريبة، بحجّة الحداثة وتطوير الشخصية».

وحول أولويات القراءة ومنهجيتها قال د. رمضان: «عزّ الشعر الجيد، وندرت دواوين المبدعين من الشعراء، وما بقي لنا إلا دواوين الراحلين من الشعراء العظام، وهي تحتل مكانتها المستحقة في مكتباتنا الشخصية، ولسنا من الباحثين عن كتب الشعوذة ومطبوعات تجّار الدين ووعّاظ السلاطين.

لم يبق لنا إلّا البحث عن روايات جيدة، خاصة أننا نعيش زمن الرواية، لعلنا نجد فيها ما يعوض الجدب في حياتنا».

معرض الكتاب.. ماضٍ وحاضر

وفرّق الروائي طالب الرفاعي بين المشهد الثقافي خلال السنوات الأولى لافتتاح معرض الكتاب ووضعه الحالي بسبب ظروف النشر ووسائله والوعي العام للقارئ، مشيراً إلى تغيّر عاداته القرائية: «منذ سنوات صرتُ أبحث عن كتب بعينها؛ سواء كانت رواية، أو قصة، أو شعراً، أو دراسات نقدية أو فلسفة أو مواضيع متخصصة بعينها.

فبعد سنوات طويلة من القراءة، وبسبب عدد الكتب الهائل الذي تفرزه دور النشر المحلية والعربية، على مدار العام، صار على القارئ توخّي الحذر في اختيار الكتاب الذي يستحق القراءة، والذي يصبّ في أولويات قراءته».

وأضاف: «معارض الكتب، بالرغم من تظاهراتها الثقافية الجميلة، وكثرة الإقبال عليها، وتحديدًا من فئة الشباب، فإنها لم تعُد كما كانت يوم افتتاح معرض الكويت الدولي الأول للكتاب عام 1975، ففي ذلك الحين كانت معارض الكتب تشكّل النافذة الأكبر والأهم بالنسبة إلى أي مفكّر أو كاتب أو مثقّف. إلّا أن الحال تبدّلت اليوم، بتوافر الكتاب طوال العام؛ سواء في المكتبات الكويتية المحلية، وصلات تعاونها مع الناشر العربي وحتى الأجنبي، أو عبر طلب الكتاب من مواقع بيع الكتب على شبكة الإنترنت، ومن هنا صارت معارض الكتب فرصة للقاء الأصدقاء الكتّاب والمثقفين العرب، وصارت مناسبة مهمة للتواصل مع الكتّاب الكويتيين الشباب، وذلك عبر حفلات توقيعهم أو المحاضرات الثقافية المصاحبة لمعرض الكتاب».

وحول أثر الأحداث الحالية أشار إلى أن «معرض الكويت الدولي للكتاب يأتي بدورته الـ 46، في ظل منعطف أحداث تعيشها الأمة العربية والإسلامية، بحرب وحشية تقودها إسرائيل ضد غزة والفلسطينيين، وهذا قد يكون سببًا كافيًا لأن يبحث البعض عن الكتب التاريخية الرصينة التي تتناول القضية الفلسطينية بتعقيداتها منذ وعد بلفور عام 1917 وحتى وقتنا الراهن».

بواكير العمل الثقافي

وتحدث الأمين العام الأسبق لرابطة الأدباء، الروائي حمد الحمد، عن ذكريات معرض الكتاب وبواكير العمل الثقافي قائلاً: كنت طالباً في كلية الآداب بجامعة الكويت عام 1975، وكان مبنى الكلية، حيث أدرس، في الشويخ، وسمعت أن

■ الحمد: توقفت عن شراء كتب الأدب وركّزت على كتب الرحّالة الأجانب والتاريخ العربي القديم

هناك معرضاً للكتاب يقام لأول مرة في الكويت، وكان المعرض في حيّز صغير قرب الجامعة، وهو أول معرض كتاب يُقام في الخليج، وبما أنني من هواة القراءة، فقد حرصت على أن أزوره وأقتني بعض الكتب، التي ما زلت أحتفظ ببعض النسخ منها في مكتبتي المنزلية.

في البدايات، ومع أول معرض، كنت أقتني أو جلّ اهتمامي بدواوين الشعر الفصيح، وكذلك الشعبي، والروايات العربية والمجموعات القصصية، وخاصة المترجمة من الأدب الروسي.

وفي سنوات أخرى، بدأت أقتني كتباً عن التاريخ العربي منذ دولة الخلافة حتى تاريخ الدولة العثمانية، كما أصبح لي اهتمام بكتب الفلسفة والسّيَر الذاتية، لكن اهتماماتي كانت بعيدة عن الكتب السياسية، وخاصة عن عالمنا المعاصر.

لكن في مرحلة أخرى، أصبح لديّ شغف باقتناء كتب الرحّالة الأجانب التي صدرت عن رحلاتهم في العالم العربي، خاصة الجزيرة العربية».

وحول تغيّر عاداته القرائية، أشار الحمد إلى توقفه في السنوات الأخيرة عن «اقتناء كتب السرد ودواوين الشعر، واقتصر الشراء على كتب رحلات الرحّالة الأجانب والتاريخ العربي القديم»، مضيفاً: «ليس لديّ اهتمام بالكتب التي تصل بواسطة «بي دي إف»، لكنني أتردد طوال العام على المكتبات وأتزود بما صدر من كتب حديثاً».

وبيّن الحمد حرصه ومداومته على زيارة معرض الكتاب بلا توقف في كل دوراته، قائلاً: «أنا زائر دائم لهذا المعرض منذ انعقاد دورته الأولى، كما أن أفراد أسرتي دائماً يسألون: متى معرض الكتاب؟ ويحرص الأبناء والأحفاد على زيارته سنوياً، وما أشتريه من كتب يكون «مؤنة» لعام كامل، وأحرص على قراءة الكتب يومياً، حتى أنني أكتشف في مرات أنني أعيد قراءة الكتاب أكثر من مرة، لهذا، فإن مكتبتي تزخر رفوفها بكتب معرض الكتاب».

وحول جهوده الخاصة اعتزازاً بدور معارض الكتب قال: «يجب أن أوثّق أنني عندما كنت عضواً باللجنة الثقافية في رابطة الأدباء، عند منتصف تسعينيات القرن الماضي، أسست أول جناح للرابطة بمعرض الكتاب، وهو الجناح الذي يستمر حتى يومنا هذا، ووضعت له نظاماً خاصاً حقق نجاحاً كبيراً وما زال متّبعاً حتى الآن.

ومع ما نتابعه من أحداث مؤلمة تتعرّض لها غزة حالياً، وتفجعنا جميعاً والعالم، فإنني سأحرص على اقتناء كتب عن تاريخ فلسطين، متمنياً أن يتوقف القتل والتشريد، وينتصر الحق بإذن الله».

بين الباحث والمبحوث عنه

وفي تحليل لحالة البحث القرائي وظواهرها، تحدث أستاذ الفلسفة في جامعة الكويت، د. حسين حيدر، قائلاً: «أحياناً، البحث عن شيء دليل افتقار أو حاجة في الباحث، ومن هذه الجهة هناك صلة شخصية بين الباحث والمبحوث عنه؛ سواء كان شخصاً، أم فكرة، أم مكاناً، أم كتاباً.

ويأتي الطابع الشخصي للكتاب من أصنافه المتعددة وعناوينه المختلفة؛ فكأن للكتاب أنحاء من الوجود

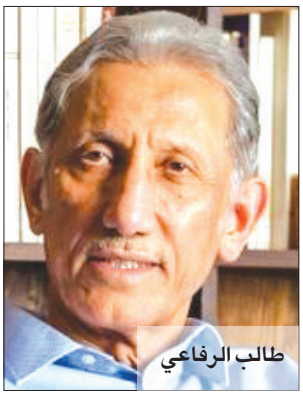
طالب الرفاعي

خالد عبداللطيف رمضان

حمد الحمد

■ الرفاعي: إسرائيل تقود حرباً وحشية ضد الفلسطينيين.. وهذا كافٍ للبحث عن الكتبً الرصينة

متناغمة مع أنحاء وجود الإنسان وحاجاته، ويصبح وجود الكتاب أشد خصوصية وشخصية عندما يكون في صورة كائن محسوس يرافق القارئ في خلواته، وشريكاً له في جلساته، لا يبالي - أو لا يمانع - أن يملأ صاحبه أطراف صفحاته الصفراء الفارغة بعبارات سخيفة لا قيمة لها، لكنها - مع ذلك - تصبح (تلك العبارات) مع مرور الزمن ذكريات ذات لون باهت، كما هي حال الذكريات، ربما تخلّد - ولو بصورة غير مقصودة وغير محددة - شيئاً من بقايا نفس القارئ.

ويكون في الكتاب حياة عندما يبعث حياة في النفس، وذلك عندما يلقيها في بحار التساؤل، والغموض، والفضول، وعندما يحاول أن يخرجها من كهوف أشباه المعرفة ليريها طرقاً في الوجود جديدة وممكنة، وعندما يجعلها تغوص في نفسها والعالم لأول مرة، وعندما يقول لها: هناك من يفهمك في هذا العالم، أنت لست غريبة تماماً!

■ د. رمضان: لسنا من الباحثين عن كتب الشعوذة ومطبوعات تجّار الدين ووعاظ السلاطين

يا تُرى، هل سأجد مثل هذا الكتاب في معرض الكتاب؟ لا أعتقد!».

أولويات القراءة في الوقت الراهن

ومن أسى المشهد العربي عبّرت الروائية والقاصة جميلة سيد علي عن تأثّرها قائلة: «كارثة تاريخية ينفذها الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين المحتلة وقطاع غزة. آلاف من القرابين البشرية والأضحيات التي لم يمرّ عليها الحول من الأطفال يقتلون في المستشفيات والمدارس والمساجد والكنائس والشوارع بلا ذنب، والبقية يتضورون جوعاً وعطشاً ويكابدون آلام الجراح، مشاهد مؤلمة نعيش بها ليس فقط منذ السابع من أكتوبر، وإنما منذ وعينا ما يدور حولنا.

يأتي معرض الكتاب وسط هذه الأحداث الدامية ليتيح لي البحث عن بدايات وخلفيات هذا الصراع بأفكار وأقلام متزنة من الطرفين المتقاتلين».

وأشارت الكاتبة إلى عناوين بعض الكتب التي تشكّل أولوية لقراءتها من مثل: «كتاب التطهير العرقي في فلسطين منذ 1948» للمؤرخ الأكاديمي الإسرائيلي إيلان بابيه. ترجمة أحمد خليفة - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت 2007.

قدّم المؤلف بالأدلة والوثائق، الأحداث الحقيقية التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل، والتي تختلف عن الرواية الرسمية الإسرائيلية.

وكتاب «مخطوطات فلسطين... التاريخ المفقود» - مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، 2017 - المؤلف عبدالحميد أبوالنصر.

يعرض الكتاب المخطوطات الفلسطينية والوثائق التي ترسّخ التاريخ الفلسطيني وتثبت أحقية الفلسطينيين بأرضهم.

وكتاب «الصراع العربي الإسرائيلي... 100 سؤال وجواب» للكاتب الأرجنتيني بيدرو بريبجر - 2012 - ترجمة مركز دراسات الوحدة العربية.

يفنّد الكتاب مقولة أن الفلسطينيين تخلّوا عن أرضهم بإرادتهم، بل بسبب المجازر التي ارتكبها الصهاينة ضد المدنيين العزّل. ويعتبر الديموقراطية الإسرائيلية (إثنية) لتعاملها مع الفلسطينيين الإسرائيليين كمواطنين من الدرجة الثانية، وحرمان سكان الأراضي المحتلة من أدنى حقوقهم. كما يوضح أن «كُره اليهود» سببه الممارسات

■ الشرّاد: يا للمفارقة.. أقرأ «ابن جني» في الجهاز المحمول وصامويل هانتنجتون في كتاب!

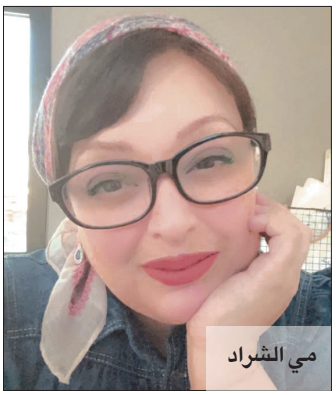
مي الشراد

د. حسين حيدر

جميلة سيد علي

عبدالوهاب سليمان

الإسرائيلية العنصرية ضد الفلسطينيين، وأن العمليات العسكرية ضد المدنيين تُعد تطهيراً عرقياً».

آلاف الكتب بين يديّ

ورغم تفضيل القاصة مي الشرّاد للكتب الإلكترونية؛ فإنها تشير إلى ما يعتري هذا التطور التكنولوجي الضروري من عوائق وعقبات: «أنا من الذين يحاولون تجنّب شراء الكتب، بسبب أزمة المساحة والتخزين، والتنقل مع الكتب - أو بينها وفوقها وتحتها أحياناً - وتجنّباً لمآل الجاحظ في هذه المسألة، أجد أن الكتاب الإلكتروني وأجهزة القراءة المحمولة حلاً مثالياً لي، أخرج للمقهى أو للجامعة أحمل تقريباً 10 آلاف كتاب في جهاز محمول هو الكتاب ودفتر الملاحظات والقلم.

لكن هذه المحاولات لها نصيبها الكبير من الفشل، فتقنيات النشر الإلكتروني محدودة جداً عربياً، وخطوات دور النشر العربية بطيئة بهذا الحقل. أجد ما أتوق إليه من كتب التراث العربي القديم والشعر بفضل بعض المشاريع التي تولّت تحويل آلاف من كتب التراث - الموافقة للمطبوع - إلى نسخ إلكترونية وبصيغ تسهّل البحث والتصفح، لكن - وبمفارقة هزلية - تبقى المادة المكتوبة حديثاً بعيدة عن هذه التقنية، كأن أقرأ «ابن جني» في الجهاز المحمول، وأقرأ صامويل هانتنجتون في كتاب»!

لا خلاص من الورق

وحول الموازنة في شراء الكتب واقتنائها وتغيّر عادات القراءة، أوضّحت الشرّاد أن «المرور والاكتفاء بالنظرة الأولى وغَضّ البصر عن طيبات الرفوف العامرة في معرض الكتاب - أو حتى مكتبة صغيرة متوارية في مركز تسوق - عملية مستعصية على الكاتب أو الباحث وحتى القارئ عامة».

وأضافت: «يبدو الهروب من قَدَر الكتاب كالهروب من حبيب متطلّب، لكنّه ساحر وظريف. مثل كل الكلاسيكيات التي لا ينفع الوعي في مواجهتها. وتبدو مقاومة ملمس الورق - ورائحته - ورسم الحرف المطبوع عملية عبثية، لذا في النهاية لا أجد خلاصاً من جاذبية المعرفة أياً كان وعاؤها».

■ حيدر: هناك صلة شخصية بين الباحث والمبحوث عنه.. شخصاً كان، فكرة، مكاناً أو كتاباً

القراءة أولاً وأخيراً

وركّز القاصّ والمترجم عبدالوهاب سليمان في حديثه عن أولوياته القرائية بالقول: «تغيرت لديّ عادات شراء واختيار الكتب في السنوات الأخيرة كثيراً؛ أصبحت أكثر حرصاً على اقتناء الكتب المرجعية والكلاسيكية العابرة لكل الأزمان، والتي تُعد ضرورية في كل مكتبة، كما اهتممت أكثر بالمراجع والقواميس المفيدة في الترجمة، فضلاً عن الكتب المرجعية في مواضيع الكتب التي أترجمها.

كما أن توافر منصات الكتب الإلكترونية المقروءة والمسموعة (المصرّح بها من قبل الناشرين) قد أسهم كثيراً في تقليص نطاق مشترياتي من الكتب المطبوعة، مستبعداً الكتب (الرائجة) ذات العمر القصير التي يتوافر أغلبها في تلك المنصات، وأتاحت تلك المنصات مساحات في مكتبتي الخاصة لمصلحة كتب لدور نشر لا تهتم كثيراً بتوفير إصداراتها إلكترونياً، مثل المؤسسات الثقافية الحكومية».

ويضيف: «ثمّة شيء لم يتغير هو حرصي على اقتناء إصدارات الكتّاب الذين أقدّر أعمالهم، وإصدارات الأصدقاء من منطلق الاهتمام بكتاباتهم ودعم إبداعاتهم. تتغير عادات وتفضيلات شراء الكتب مع اختلاف الذائقة والاهتمامات والوسائط، إلّا فعل القراءة ثابت لا يتغير».

■ جميلة سيد علي: معرض الكتاب يأتي ليتيح لي البحث عن بدايات وخلفيات الأحداث الدامية

في انتظار «ثيمة»

أما الناقدة والكاتبة المسرحية فتحية الحداد فأثرت الإجابة عن أسئلة «البيان» بأسلوبها المسرحي، وكتبت نصًا حمل أبعاداً نقدية وتوصيات ورؤى يمكن التقاطها بالمشهد التالي:

«في الخلف شاشة كبيرة تنقل مناظر من معارض مختلف للكتب، حيث حركة الناس والبائعين في معرض الكويت، عاصمة أوروبية، ومن سوق الأزبكية. الأصوات المأخوذة من تلك المعارض تخفت تدريجياً بدخول ممثلين من يسار المسرح. الاثنان منهمكان بالحديث.

الأول: ذكرني بسؤالك الذي طرحته قبل قليل؟

الثاني: ظننتك نسيت الموضوع... عموما، ما الذي يمثّله لك معرض الكتاب؟

الأول: لنبدأ من العنوان. «معرض الكتاب»؛ ألا تلاحظ أن كلمة «معرض» قد احتلت المقام الأول، مثيرة مبدأ اقتصادياً يُعنى بواحد من مظاهر التسويق، حيث يلعب المكان والزمان دوراً في الترويج للبضاعة؟

الثاني: فيقبل الناس على المعرض، رغم التطور الهائل في المجال وتأثير التقنيات الحديثة في توفير الكتاب لكي يصل إلى بيوتنا دون مشقة تُذكر.

الأول: في «سوق عكاظ» المبدأ الاقتصادي كان حاضراً للترويج للشعر، حيث السوق الذي يجمع المبدعين بجمهور من متذوقّي الكلمة وبحورها.

الثاني: «المعرض» كالمسرح، فالجمهور محركُ لفضاء المكان، وآلية مثالية للتبادل بين طرفين.

الأول: علاقة إنسانية تنشأ بالمكان. المعرض بقعة اجتماعية لا يمكن إغفالها، وهو ما يفسر ربما، زيارتنا للمعرض وإن غصّت مكتباتنا المنزلية بالكتب.

الأول: ووجود العائلة أو اجتماع الأصدقاء هنا أمر ملحوظ.

الثاني: وإن كنت وحيداً فأنت تتكلم مع البائع دون سابق معرفة، ويجمعكما حوار قد يتحول في لحظة إلى حديث شخصي.

الأول: تمنيت أن يحمل المعرض كل سنة ثيمةً، فتكون «العائلة» أو «العلاقات» هذا العام، فنبحث عن كُتب تتناول الموضوع.

الثاني: لم أعد أسمعك!».

«حنظلة» باقٍ.. وعمر الاحتلال قصير

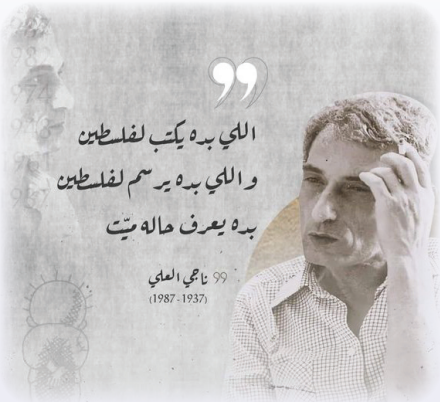

رغم مرور قرن من الزمان على القضية الفلسطينية، وأكثر من خمسين عاماً من عمر «حنظلة»؛ إلا أنه ما زال يتكاثر ويكبر في طليعة الأجيال وهو في العاشرة من عمره، يظهر رمزاً خارج قوانين الطبيعة التي عبث بها الطغاة، ورغماً عن أنف الكيان الصهيوني الذي يواجهه حنظلة بظهره، ورغم الخراب والأعداد المهولة للشهداء من ضحايا الاحتلال ما زال يشيّعهم بحضوره بين القبور وعلى الجدران والمنشورات ولوحات الفنّانين والأطفال الذين يستعيدونه في رسوماتهم تأكيداً لصمودهم ونضالهم عبر ذاكرته، وهم يدركون مقولة ناجي العلي المقتول غيلةً: «اللي بدّو يكتب لفلسطين، واللي بدّو يرسم لفلسطين، بدّو يعرف حالو.. ميت». هكذا سلّم المقاومون أرواحهم لفلسطين فداء بالمقاومة والقتال والتحدّي والرسم!

ننشر بعض الصور واللوحات لنقرأ رسالتهم، رسالة «حنظلة» الذي تحدث عنه صاحب الرسم العليّ الرّافض لكل أشكال التسوية المهينة: «كلّما ذكروا لي الخطوط الحمراء طار صوابي، أنا أعرف خطّاً أحمر واحداً؛ إنّه ليس من حقّ أكبر رأس أن يوقّع على اتفاقيّة استسلام وتنازل عن فلسطين».

هكذا نحفظ ظهر حنظلة «خريطة» للغضب، ووسيلة للإدانة، وعنوان «الرفض» و«الثورة»، يتكاثر حنظلة ونعرف أنه في مستقبلنا، ينظر إلى فلسطين حرة ولا يلتفت إلى الماضي.

تجربة ثرية بين النقد والشعر والسرد.. توّجت بالوصول إلى «كاتارا»

الحبيب: لا تقلقني «الفكرة المطروقة».. فلكل كاتب أسلوبه الخاص

تمكّنت الروائية الكويتية تسنيم الحبيب من ترسيخ بصمة عميقة ومميزة لها في المشهد الثقافي الكويتي وعالم النقد والإبداع الأدبي، حيث تنوّعت تجاربها الكتابية بين الشعر والقصة والرواية، وتفرّدت بنتاج كبير من القراءات النقدية متابعة للإصدارات الأدبية في الكويت وخارجها وإخلاصاً لهمّها القرائي واشتغالاً إبداعياً في العمل النقدي تحبه وتنهل منه، مما جعلها جهة مهمة في بوصلة القراءة واختيار الكتب والتعرف إلى عوالمها.

تنصت إلى صوتها الذاتي في الكتابة، وتؤمن بأصوات الشخوص وحرية الانفعالات التي تعي لحظتها وتتقن مكاتبة عوالمها، هذا ما أدركت جدواه خلال العديد من الكتب التي أصدرتها، وما جعلها تراعي «السقوط من جنّة الأسماء» سبع سنوات حتى تكتمل روايةً تمكّنت من الوصول هذا العام إلى القائمة القصيرة لجائزة كاتارا في دورتها التاسعة.

حاورتها «البيان» حول بواكير الكتابة، وتجربة التنقل ما بين الشعر والسّرد، وهاجس الرقيب وهموم المشهد الثقافي.

المحرر الثقافي

● مجموعة شعرية وحيدة.. وإصدارات منثالة في السّرد بين المجاميع القصصية والروايات، حدثينا عن هذه النقلة في الكتابة، وسرّ القدرة على اكتشاف مسار الصوت الداخلي الأنسب ما بين تلك الإصدارات؟

- شغلتني اللغة منذ البداية، اللغة بكيانها الحي المتنامي، لذلك أشعر ألّا نقلة في الأمر، ربما لأن اللغة هي الروح الناصعة التي أتعامل معها، فصارت القوالب الأخرى كالسرد والشعر ألين وأطوع، ولا أدعي أن التجنيس في الكتابة غير مهم أحياناً، فنحن بحاجة - أحياناً أيضاً - أن نقدّم النص بهوية محددة.

إذن منذ البداية حفّتني اللغة، فصار التعبير في السن المبكرة عن القلق والسؤال والفرح والانفعال يأتي عبر التجارب الشعرية، ثم صار لزاماً عليّ أن أفهم القصة دون الاستغراق باللغة، بل بهيمنة الحدث، وهكذا إلى أن صار لكل انفعال هوية ما، تجد ذاتها في قصة أو رواية أو ربما مسرح.

بوح حبيس

● متى تكون «القصة»، ومتى تقررين بثّ الحياة فيها؟

- القصة هي شهقة، لنقُل إنّها تجربة مقتصدة ممتدة، لنقل إنها حدث مركز يعلن عن نفسه عبر شخوص محدودة وفضاء يظهر القليل من نفسه، لأن ما يصرّحه قادر على تمرير ما يكتمه. غير أن الرواية كائن شغوف بالتفاصيل، يحب التعبير عن ذاته مراراً ومراراً. ما أود قوله هو أن الحدث إن احتاج إلى ابتناء العوالم المتعددة والتحولات الكثيرة في مسارات الشخصيات لن يصير قادراً على اختزاله بقصة.

> ■ صار لزاماً عليّ أن أفهم القصة دون الاستغراق باللغة.. بل بهيمنة الحدث

بالنسبة لي، وحين تستفزني الحياة بمواقفها، فأغضب أو أتعاطف أو أشعر أن شيئا ملحّا يريد منّي أن أقوله ؛ ألجأ إلى النصّ القصصي، فأشعر حينها بخفة من فرّغ أحماله، لكن أحيانا تبقى القصة مترسبة في روعي، تريد منّي أن أكمل أجزاءها المكتومة، حدث هذا في نص «على قارعة النبذ» المنشور في مجموعة «بوح الندى»، إذ كتبت شخصية البدون الذي يريد أن يهاجر من الكويت ولم أشعر بعدها بالتخفف أو راحة إفضاء البوح الحبيس، فكتبت المزيد عن ذات الفكرة في «السقوط من جنة الأسماء».

داومت على الكتابة بعد «اليوميّات»

● لنعد إلى البدايات؛ موهبة الكتابة وجذور التنشئة وتطويرها وقرار النشر، حدّثينا عن هذه المرحلة.

- بدأت الكتابة مبكّرا، في عمر السابعة ربما، اتجهت لتدوين أشباه القصائد في دفاتر تتبدل وتلقى باستمرار، ثم أحببت كتابة اليوميات، إذ صارت لي منطقة للبوح، تعرفين أن الكاتب غالبا ما يكون أكثر هشاشة ممن حوله، أو صلابة أحياناً لا أدري، المهم أني اتجهت لتدوين اليوميات، ثم ظهرت القصة الخاطفة العابرة، مثل تلك التي بعثتها لمجلة ماجد بعنوان حكاية سمكة، ولما نشرت تمسّكت بكتابتي أكثر، ثم حصص التعبير والإنشاء في المدرسة التي كنت أنتظرها وأبالغ في ذلك. نعم كتبت القصص بغزارة، ولم أزل أشتاق لتلك الكتابة السيالة المحررة من معايير النقد ومساطره، الكتابة الفطرية الطليقة.

■ لم أشعر بالتخفف أو راحة إفضاء البوح الحبيس في القصة.. فكانت الرواية

بعدها، وعلى مقاعد الدراسة في المرحلة المتوسطة، كتبت أول رواية أحتفظ لليوم بمسودتها بعنوان «محطات وأشجان»، عكفت على كتابتها في العطلة الصيفية، وأعتبرها اختبارا لصبري على الكتابة الطويلة النَّفَس، نعم نكتب ببساطة شديدة كتابات تضحكنا اليوم ربما، غير أنها اختبار على جديتنا إزاء الكتابة واحترامها، أظن أن هذه هي البداية، المُغذاة بقراءة نهمة تحرسها أسرة تعتني بالكتب وتقدّرها، والدتي أحبت الشعر واحتفظت بمكتبتها بدواوين عديدة، وأتذكر محبتها لشعر جنة القريني وقراءتها لنصوصها الشعرية المنشورة بالجرائد وتحفيزنا على ذلك. وحين أطل النهم من عيني حرصت على تغذية مكتبتي الصغيرة بالكتب المناسبة لسنّي، ومن ثم لوعيي، كما دأب أبي على إحضار مجلة ماجد لي كل أربعاء ومجلة العربي كل شهر، وهكذا صرت أطير بجناحَي القراءة المستمرة ومداومة الكتابة.

أحاور روح طفولتي

● ما العمل الأقرب لنفسك من بين إصداراتك؟ ولماذا؟

- هذا سؤال صعب، أشعر أن كل عمل نكتبه له تكامله الخاص، ويبدو في حين كتابته وولادته الطازجة أقرب الأعمال، ثم نبدأ نستقبل فكرة أخرى ونهدهدها في مهدها لتكبر شيئا فشيئا، وتسعى إلى اكتمالها، لكنّي قد أمرر إجابة مفادها أني في حين الكتابة للناشئة أشعر أني أحاور روح طفولتي، فتبدو الكتابة أقل وعورة، وحين يحل النص في كيانه الورقي أبدو فرحة كطفل يتلقى هدية العيد.

● يمرّ الكتاب دوماً بحادثة غريبة ترافق أحد أعمالهم أو تظهر بعدها، هل واجهت أمراً كهذا؟

- لا حوادث غريبة حتى الآن، الحقيقة أكثر ما يسرّني هو تفاعل القراء.

لا تقلقني الفكرة المطروقة

● ما بين «سماء قريبة أعرفها» و«السقوط من جنة الأسماء» حالة ثورية في الكتابة، هل هو تخلّص من قيود الأدب الملتزم بموقف فكري أكثر كشفاً وتعرية للواقع؟

- لنقُل إنها حالة تدرّج في النضج، بالطبع حين كتبت «سماء قريبة» تصورت أني أدنو من العالم الواقعي، وصدقت ذلك، وشعرت أنها أفضل ما يمكنني كتابته، غير أني دائما ما أتواضع للنقد وأبحث عنه، فقررت بعد تلقي الملاحظات النقدية والذوقية والتي ركزت على أن «سماء قريبة» مستغلقة بعالمها المثالي وشخصياتها المشغولة بالعلاقات أن أتمهل في خطوتي الروائية التالية، نعم كتبت رواية الناشئة «الخروج من مدينة الزجاج» و«ديم الحنين»، و«أمنية جديدة»، لكنّي كنت أتهيب عالم رواية الناضجين، بدت الرواية - حينها ولم تزل - في رفّ عال، بينما يداي قصيرتان، لكن ما حركني

■ في «سماء قريبة» تصوّرت أني أدنو من العالم... ثم لم أعبأ بهواجسي الكتابية

لإخراج السقوط من جنة الأسماء بشكلها الأخير بعد أن مرت بمراحل أشبه بولادات متعاقبة في مخاض مقداره سبع سنوات هو قرار بألّا أعبأ بهواجسي الكتابية: نعم لن أقلق فيما إذا كانت الفكرة مطروقة، فتلك معاناة أشعر أن لديّ ما أقوله إزاءها - سأركّز على فكرة النص وروحه - سأنصت بمهل لصوت الشخوص وأتحرر من ذاتي وأحكامي، وهكذا إلى أن خرجت الرواية بشكلها الحالي.

قوائم الجوائز... فرحة حانية

● حققت رواية «السقوط من جنة الأسماء» حضورها الباكر، وصولاً إلى القائمة القصيرة في جائزة كاتارا، ما الذي تحقق وأضافته تلك التجربة؟

- يحمل إلينا الوصول على القوائم فرحة حانية، يعني هذا أنك كتبت شيئاً يستحق القراءة بعيدا عن ذائقة قرائك المكرّسين، ويؤكد على خطواتك ويقول لك إن كتابتك بعافيتها، أعتقد أن هذا أجمل ما في الوصول إلى القوائم، ثم تأتي الهبة الأخرى وهي لفت الأنظار لعملك، وهذا الأهم، كأنك تقول للقراء: هيا أيها الأحبة اقرؤوا ما كتبت واستضيفوني في تلقّيكم. نعم أجمل ما في تلك التجربة هو استدعاء القراء للعمل.

أريد للشخصيات أن تتحدث

● شخوص رواياتك تعاني غالباً واقعها المجتمعي وقضاياه الشائكة، ما الذي تريدينه لها من خلال السرد؟

- أنا أبحث عن صوت الشخصية عبر الإنصات - التفهّم - تجريد الأحكام، ومن ثم أستسلم لقدرها، سأقول لك إني وددت كتابة نهاية سعيدة لمجاب (بطل السقوط من جنة الأسماء)، نهاية الناجحين المثابرين الذي يصلون إلى حلاوة الظفر بعد مرارة الرحلة، لكنّ صوته الحزين سيطر عليّ، حذّرني من النهاية المُخدرة التي تموّه واقع فئة البدون، صوته أكد لي أنه لا يحق لك تزييف الواقع، اكتبي همي وخيبتي وانتحاراتي ولاانتمائي العتيق. أتذكر أني عرضت النص على الأستاذ محمد سالم الذي أكرمني بالتحرير، حين قرأه وأنهاه قال: تؤكد نهاية الرواية على اللا اتجاه، فبرقت الفكرة في رأسي بنحو أكثر يقيناً، نعم هذه هي النهاية المفترضة، هذا هو صوت الشخصية الناصع.

ماذا أريد لهذه الشخصيات، أريد لها أن تتحدث وأريد أن يُنصت لها.

● المبدع مُتّهم بالتعالي على الواقع حين يجرّد الحكايات من حقيقة مأزقها المستمر، ما هو منظورك لهذه العلاقة؟

- هل ترين ذلك ؟ لا أدري، أو لا أعتقد.. أكثر النتاجات تأثيرا هي التي لا تجرد الوجع، وإن جرّدته فتحت له باب التأويل أو نافذة سرية تُفشي ارتباطه بالواقع، ألا يبحث الإنسان أبدا عن صورته أو صورة شبيه له؟ أو يحمل ذاته في قالب الآخر ليعرف نفسه، في القول المأثور: من عرف نفسه فقد عرف كل شيء، أنا أعتقد أن العمل الفني المؤثر هو الذي يستمر بمحاولة تمرير صورتنا لأنفسنا.

«ماذا لو..؟» اشتغال الكتابة

● رغم تحديد ملامح البيئة العامة في أعمالك الروائية؛ واهتمامك بتسجيل الوقائع التاريخية المتعلقة بها بدقّة، تعولين على مساحة الخيال لكتابة رؤاك لتحرّك الأحداث، كيف تمكنت من هذا التوافق في روايتك الأخيرة؟

- قد لا أسمّيه خيالاً هنا، إنما اشتغال. ففي «السقوط من جنة الأسماء» تلك الحيلة، فالمكان من الواقع، والحدث من الواقع، والسياق الزمني

لرحلة مجاب من الواقع، والحكايا المتعددة أيضا من الواقع، غير أني اشتغلت على رسم ملامح الشخصية عبر تقنية الإنصات والتصور، كما أجبت في السؤال السابق، هذه المساحة من التفاعل كانت تُبتنى على سؤال: ماذا لو؟ وكيف إذا طرأ ذلك الطارئ، وأي شيء سيغير بالحدث والسياق إن تغيّر (أ) إلى (ب)، وماذا عن (جـ) حينها؟

بهذه المعادلات المتغيرة تمكّنت من محاورة الواقع بشيء قليل من الاشتغال/ الخيال، لذا وبكل سعادة أقول إن هذه الرواية لو بدت لقارئها متماسكة، فهذا بفضل الأحبة الذين أسهموا في بث حكاياهم ورؤاهم ومحاورتهم المستمرة للنص، وهم أسماء عزيزة وأثيرة ذكرتها في آخر الرواية.

● ما المعايير التي تحرصين عليها في كتابة أي عمل؛ الإخلاص للفكرة؟ أم وصولها للقارئ باللغة التي يستسيغها والموضوعات التي تستفز معرفته؟ أم هناك جانب آخر؟

- لنقل إنّ البداية هي الفكرة، المؤثر المستفز الذي يدفعك للكتابة، الحكاية التي تود أن ترويها، والخطاب الذي تودّ أن توصله، لكنّني حريصة أيضاً على المعايير الفنية التي أشعر أنها جناح آخر يحلّق به النص. واللغة من تلك المعايير الفنية، في كتاباتي المبكرة صببت اهتمامي على اللغة، أو لنقل بلاغة اللغة التي لم تكن في موضعها المناسب غالباً، ثم

وبنصائح القراء الأحبة والنقاد والزملاء والأصدقاء بدأت الكتابة تتخذ شكلاً آخر، الأهمية فيه للموضوع، فيما تتشكل بانسجام يوافقه ويعززه.

لا أخشى الرقيب

● هل يتحكم هاجس «الرقيب» في كتاباتك؟

- أبداً... حين أكتب أنسى القارئ أياً كان، لنقل إني أتحرّر من سطوته، رغم أني قرأت مرة أنّ من أساليب الكتابة المؤثرة؛ الكتابة لقارئ واحد، لا أقلل من هذه التقنية التي قد تنجح مع كثير من الكتّاب، غير أني وبكل صدق أتحرّر من فكرة القارئ وأتعالق مع الكتابة بكل تحرّر، تصير هي المأزق والفضاء، ثم إذا ما انتهى العمل ينجرف فيه لقارئه وأبقى أتوخى ردة فعله.

ولأصير أكثر صراحة، لا أخشى الرقيب، لأني لا أتوقّع ضيافته لنصوصي غالباً.

● ما رأيك في المراوحات بقوانين الرقابة «المسبقة» و«اللاحقة»؟

- الحقيقة أنني أرفض الصورتين للرقابة، وقد أُشبع هذا الموضوع نقاشاً، أنا أعتقد أنه كلما ارتفع سقف الحرية زاد الوعي، والعكس مؤسف، وتبدو قوانين الرقابة صورة من ضروب العبث في زمن شبكات الإنترنت والفضاء الافتراضي.

بين الكتابة والقراءة والنقد

● تعدُّد الإصدارات واشتغالك الحثيث بالكتابة لم يمنعك من الاطلاع على الأعمال السردية في المشهد الثقافي وكتابة القراءات النقدية بشكل متفرد في المتابعة الحثيثة، كيف تمكّنت من التوفيق بين الاشتغال النقدي والعمل الكتابي؟

- أحب القراءة جداً، وأحب قراءة نتاج الزملاء، غالبا ما شعرت أني قارئة أكثر من كاتبة،

وحتى لا أدخل في متاهة هذه المفاضلات سأقول لك بكل صدق ومحبة إن القراءة للغير تزيدني دائماً، لقد أهدتني متعة أو دهشة أو دربة أو حتى عينا ناقدة تكتشف مواطن القوة والضعف في النص.

تهمّني الكتابة عن الأعمال التي لديها ما تقوله، الأعمال التي أشعر حين قراءتها أنّي أرفع حجابا بيني وبين المعرفة، والحقيقة أنّي استثمرت تعالقي المستمر مع المنتديات الأدبية في فترة النشر الافتراضي، إذ انخرطت في تجربة (النشر - النقد) المباشر والذي أثري بالمداخلات المتنوعة للكثير من الكتاب على امتداد الوطن العربي بتجاربهم الغنية المتنوعة. ثم بدأت بعد ذلك بالقراءة المنهجية في كتب النقد العربية والأجنبية من غير تسليم تام بما فيها مؤمنة أن الجمال في العمل روح من أمر الكاتب قد تتمرد على المعايير والمساطر النقدية وتحيّر ضيفها المتلقي.

● ما الذي يميّز معرض الكتاب، وما الذي تحققه المكتبات في أدوارها المختلفة من وجهة نظرك؟

- معارض الكتب تجربة ماتعة، وكشفية أيضاً، سنتفق على أن الأجواء فيها محرّضة على القراءة، عفية ومحفزة، رغم أننا ندرك أن الكتب متوافرة طوال السنة، خصوصاً في السنوات الأخيرة، إذ برزت مكتبات تحرص على تغذية رفوفها بالإصدارات الحديثة من دور النشر المتنوعة ولا يحدّها البعد الإقليمي وما أشبه، لكن يبقى أن تجربة التواصل في المعارض بين الكاتب والناشر والبائع والقارئ ذات ألق خاص.

● أين ترين مكانة القراءة والبحث عن الكتب في ظل الصّخب الإعلامي والترفيهي والملهي المهيمن على وسائل التواصل والحياة العامة؟

- تسيطر فكرة الإلهاء بالفعل على إنسان اليوم، لكنّي أشعر ببشائر كثيرة حين أعاين اهتمام شريحة لا بأس بها بالقراءة، وحين أرى - على صعيد مجتمعنا مثلاً - زيادة المكتبات الجادة ودور النشر، فأفهم أن للقراءة والثقافة مريدين مخلصين ومثابرين. أميل إلى الأمل دائماً، ولشكر الموجود حتى يأتي المفقود.

■ الجمال في العمل روح من أمر الكاتب قد تتمرد على المعايير والنقد لتحيّر ضيفها المتلقي

■ أميل إلى الأمل دائماً.. ولشكر الموجود حتى يأتي المفقود

حوار البدايات والتجربة والذكريات مع أحد روّاد الشعر في السبعينيات

عبدالمنعم رمضان: شرط قصيدة النثر بلوغ أقصى البراءة.. و«الأقصى» لا آخر له

تحتشد بكل جوارحك لقراءة أشعاره واستكشاف أفكاره ورؤاه، ومن ثمّ تضع يدك على نقاطه المفصلية، ثم تقرر- بحيلة ما - أن تعرّيه أمام ذاته، أن تدفعه لقول ما لا يمكن قوله في جلسات عامة على مقهى أو في الغرف المغلقة، ليكون حوارك قطعة أدبية ثرية، توازي إبداع الشاعر الذي تحاوره، وتجعله يُطلق العنان لطيور النورس المسكونة بالرمال والموج... ليس حوارًا بضغينة النقد، إنما تؤكده مهارة غوّاص ينزل أعماق «الحالة الشعرية»، مستخرجًا منها كل ما يمكن أن تطوله يداك من دُرر وجواهر. وحوارنا مع الشاعر المصري الكبير عبدالمنعم رمضان، أحد أهم رواد الشعر في السبعينيات، السيرة الحافلة بالحذر والترقّب، بصوفية المجاز وأصالة المعنى، بجموح التحول ومرونة الانعتاق. سيكون حوارًا كاشفًا نلقي من خلاله ضوءًا إضافيًا على تجربته، حياته، انحيازاته، تبدّلاته، وماذا يمكن أن يتركه من إرث إبداعي للأجيال القادمة.

حوار: محمد حسني عليوة

● منذ إصدار ديوانك الأول «الحلم ظلّ الوقت الحلمُ ظلّ المسافة»، الصادر في 1980 عن جماعة «أصوات».. وأنت تسعى لإحداث «ثورة» حداثية في قصيدة النثر، بعد كل هذه السنوات كيف ترى ذلك الآن؟

- الحقيقة أن هذا السؤال قامته أطول من قامتي، الحلم ظل الوقت الحلم ظل المسافة، كان ديوانًا بإرادتي وليس بإرادة الشعر، كنت أخرج لتوي ليس من حضانة أمي، ولكن من حضانة أشبه بسجن الأطفال، أتأتئ وأفأفئ ليس مثل ممسوس، ولكن مثل أبله، لا بدّ أن أتعلم الجرأة على المشي بأكثر من قدمين، وإحاطة نفسي بكل هذا الوضوح والغموض كي يراني أحد، نعم نعم كي لا يراني أحد، هل كنت أكتب هذا الشعر بشعور الخائف منه، أم بشعور المجترئ عليه، في الحالتين يالها من سفالة؟!

في المدرسة الابتدائية التي أذكرها باعتبارها سفر الخروج بالنسبة لي، وفي المدرسة الإعدادية سفر المتاهة، متاهتي، وفي المدرسة الثانوية، سفر التكوين، المزمور الأول، في مدارسي كلها، لم أكن أعرفه، وفي الجامعة سفر الرؤيا، لم أكن أيضًا الأول قط ولا الأخير، كنت غير مرئي تمامًا، وفي بيتنا، بيت عائلتي أبي وأمي، كنّا الأحياء الثلاثة، وكنت بينهم الأوسط، تسبقني أختي التي يتلوها مباشرة أخ مات، ويعقبني أخي الذي يسبقه مباشرة أخ مات، فأنا الثالث بين خمسة محمي من الموت باثنين ميتين قبلي وبعدي، هكذا عشت بي قوسين، ومع ذلك لا أعرف هل وجودي امتياز أم نقيصة، خاصة أن بيتي الثاني بيت زوجيّتي، الذي لا أظنني زعمت أنني عميده، ولا أظنني أيضًا أنني نفيت أنني عميده، مثل كل بيوت الشعر، في بيتي الثاني تركت زوجتي لابني، وتركت ابني لزوجتي، فكانا كما تمنيت، علّماني الانفراد بالشعر، إلى أن ذهبت زوجتي بصحبة «كورونا»، فقطنتُ إلى خطيئتي؛ لأنني لم أتعلّم حراسة من أحبه، وبسبب هذا خفتُ منّي على الشعر، في علاقتي بزوجتي وابني، لم يفكر أحدنا في استعمال الآخر، فانتقلنا من الكينونة العابرة إلى الوجود الخالص، وفطنتُ إلى أنني هكذا في الشعر، أنا واللغة والشعر، فطنت إلى أن أحدنا لا يستعمل الآخر، فطنتُ إلى أن الاستعمال تصريح بالموت، وأن استعمال اللغة تصريح اغتيال للشعر، وكذلك العكس، فتمنيت لنفسي أن أرى كل شعر أحبه خارج كل سياق عام، تمنيت أن تكون السياقات بعدد الشعراء، والشعراء الذين شعرهم هو ذلك الوجود الحق قليلون، والشعراء العموميون أغلبية، وأي شاعر لن يستطيع أن يجزم بما هو عليه، لا يخفف من صعوبة الأمر سوى أن أغلب الشعراء يفضلون أن يكونوا شعراء عموميين، شعراء الأغلبية.

جماعة أصوات

● في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت فترة السبعينيات، ثمّ ما دفع كلًا من الشعراء عبدالمنعم رمضان وعبدالمقصود عبدالكريم وأحمد طه ومحمد سليمان، لتشكيل جماعة «أصوات» بدورها الريادي آنذاك، والتي أعطت متنفسًا لطباعة ديوان لكل شاعر، أعقبه صدور عدد واحد من مجلة «الكتابة السوداء».. في المقابل كانت هناك جماعة «إضاءة 77». حدثنا عن تلك المرحلة. وهل بالضرورة على الكاتب أن ينتمي إلى جماعة أدبية؟

- تزامنت نكسة 1967 مع بداية دراستي الثانوية تقريبًا، وأول انشغالي بأوهام الحب، العاطفة والجسد، كنت أيامها أدمن قراءة روايات محمد عبدالحليم عبدالله، وأصوغ بعض مشاعري وكأنني شخص في رواية، ولما تقدّمت كتبت فصولًا من هذه الرواية، لكنني مع بلوغي السنة الثالثة الثانوية،

■ الماضي والحاضر سيخسران إذا لم يسمعا نصائح المستقبل

كنتُ انصرفتُ تمامًا إلى رومانسية إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وعبدالمعطي الهمشري ومحمود حسن إسماعيل، الذي سيستمر معي لفترة أطول، الشعر هذا صرفني عن الدراسة إلى حد تعطيلي سنتين عن دخول الجامعة التي كانت عتلة تغيير، معها عرفت مشاعر ورؤى أخرى، «الماركسية» التي جسّدتها ماجدة شعراوي وجماعتها، و«الوجودي» ومثّلها بمفرده محمد خلاف، الذي تجهّز كشاعر لفترة ثم انطفأ. عمومًا كانت الجامعة بالنسبة لي عتلة تغيير، معها جرؤت وذهبت بما أكتبه إلى الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي في «روز اليوسف»، ليكتب عنّي مقالته نداء إلى شعراء المستقبل، التي تنتهي بنبوءة أنني سأضطر إلى اختصار اسمي الطويل، عبدالمنعم رمضان أحمد حسن، مقالة حجازي نفخت في روحي نارًا ونورًا، كنت أوائل 1972، وكنت خجولًا جدًا، أيامها أقبلت على الآخرين باحثًا عن ألفة وعن رفاق، آنذاك ستبدأ حبات المسبحة بمحمد سليمان، وكان يكبرني، وبمحمد عيد إبراهيم وكان يصغرني، الأول يجلس على ما يعرفه ويغنّي، والثاني يرفس ما يعرفه ويبحث عن الغرابة، ويخالف خط السير، قرأت معه أدونيس وأنسي الحاج وشوقي أبي شقرا وفؤاد رفقة وعصام محفوظ ويوسف الخال ومحمد الماغوط، كنت أيامها أحسّ بأنني أقترب من ملامح وجهي وقلبي، إنها مرحلة التحولات، زاملت محمد عيد، ورقصنا معا قرب فوهة هذا البركان، وصرنا أخوين بالروح، كان محمد منذ بدايته يرفس الوزن ويستعد معظم الوقت لقتل آبائه، ولا يأبه بإنكارهم لوجوده، عن طريقه عرفت أحمد طه وعبدالمقصود عبدالكريم، وصرنا خمسة يبحثون عن سفينة تتّسع لهم، كلنا نلعن ما آل إليه نظام عبدالناصر ومن بعده، ونبتعد بدرجات مختلفة عن الآباء الشعراء صلاح عبدالصبور وأحمد حجازي، ونمتعض من المجلات الثقافية، وننظر إلى الوراء في غضب، وإلى الأمام في اشتهاء، داخل هذه الخيمة انصهرت جماعة أصوات، وخيمتنا لم تكن معاناة خاصة، كانت مناخًا، آنذاك كانت جماعة أخرى تنصهر تحت خيمة أخرى، فأصبحنا «أصوات»، وأصبحوا «إضاءة 77»، كنّا، أعني «أصوات»، أبناء مدينة بدأت تتخلى عن ألفتها وتكشف عن توحّشها واختلاف ممثليها، وكانوا، أعني «إضاءة»، أبناء ريف، يدلون أكثر على وحدتهم، خيمتنا كانت مليئة بثقوب سندأب على توسيعها، وخيمتهم يحميها من التلف حنين دائم إلى ما سبق، إلى الآباء، إلى حد الإصرار على الفيضانات العاطفية والحذر من جموح المغامرات، كانوا موصولين بواقع حمولته تفوق حماسة شاعر، هكذا تآلفوا مع الآخرين الذين أزعجهم غضبنا.

تحرّر أدبي وثقافي

● من خلال قراءتك ومعايشتك للحركة الثقافية في مصر، هل ترى أن جيل السبعينيات يمثل نضوجًا فاعلًا في المشهد الثقافي العام؟

- بدأنا، جيلي وأنا، زمننا الشعري تحت سقفين خانقين، الحكم العسكري والنكسة، كنا أيامها في أطوار مراهقتنا، معظمنا التحق بالجامعة بعد النكسة، فعرفنا الحركة الطلابية واقتربنا منها فضولًا، ثم استظللنا بها، ووجدناها فريقين؛ الأول يباركه النظام وكان ناصريًا، وأيضًا كان الأغلبية، خاصة في اتحادات الطلاب، والثاني كان ماركسيًا، وفريق ثالث، آنذاك كان قادماً من بعيد، وهو أو 3 هم: الإسلاميون، والفرق الثلاثة انقسمت فيما بعد، انقسمت حول حرب 73، هل كانت حرب تحرير أم حرب تحريك، الطلاب الشعراء اختلطت رؤيتهم الشعرية للعالم، فظهرت معالم رؤيتهم الأيديولوجية، حتى أننا بدونا الأكثر غرقًا في هذا البحر عمن سبقونا وعمّن لحقونا. كنا نتمنى أن نتكلم بصيغة المفرد، لكنّ الظرف الموضوعي يجبرنا أن نتعلم لنتكلم بصيغة الجمع، كنا أيامها مأخوذين بشعر الرواد، نردده ونحفظه ونزهو به، ونفاضل فيه بين صلاح عبدالصبور وأحمد حجازي، ونتشدق أحيانًا بأسماء الرواد العرب، خاصة السياب، أيامها كان عفيفي مطر أقل حظًا في الحضور، كنا نردد شعر صلاح وحجازي في كل مجالسنا.

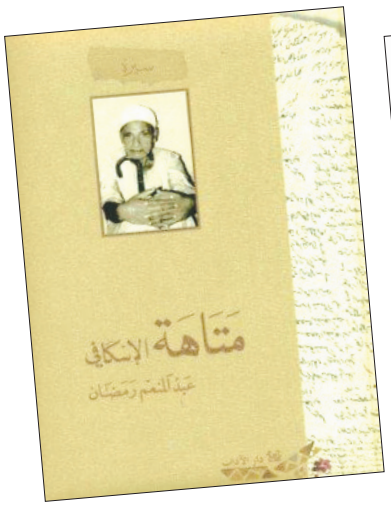

نداء إلى شعراء المستقبل

في سنة 1972، في أولها، وربما في آخر 1971 سأذهب ببعض شعري إلى حجازي في مجلة روز اليوسف، الذي فاجأني، بعد أن أوشكت على اليأس منه، بكتابة مقالته الأسبوعية تحت عنوان: نداء إلى شعراء المستقبل، كتبها عنّي وعن شعري، وختمها بأنني سأضطر في المستقبل إلى اختصار اسمي، كان ذلك تقريبًا في فبراير 1972، بعد أكثر من 30 سنة سينشر بجريدة الأهرام مقالاته (أحفاد شوقي)، أيامها ضحكت وأضفت وأبناء حجازي. عمومًا لم ينتبه جيلي انتباهًا كبيرًا، لغير صلاح عبدالصبور وأحمد حجازي، أما الجيل التالي عليهما، جيل الستينيات الشعري فلم يشغلنا كثيرًا، فيما بعد انتبهنا إلى عفيفي مطر، وانقسمنا حول أهمية أمل دنقل، لكننا جميعًا أحببنا ديوانه «الغرفة رقم 8»، في الحقيقة استعصى تكويننا على الشرب والارتواء من ماء شعر الستينيات، كان ماء تُرع صغيرة لا ماء أنهار كبرى لها فيضانات، خاصة أننا أيامها نهلنا من الشعرية العربية، السياب وحركة شعر، أدونيس والماغوط وأنسي الحاج، وأذعنا قصيدة الماغوط (أمير من المطر وحاشية من الغبار)، وأشعناها بعد أن انتحلها أمل. خصوم السبعينيات طعنوا شعرنا بشبح أدونيس، كل هذا أصبح الآن مضحكًا. الظاهرة الأهمّ في حركة جيل السبعينيات، أن بدايتنا زامنت ظهور طباعة الماستر، فأصبحت حركتنا تقريبًا هي التجلي الثقافي لثورة الماستر، لأننا بسببها استطعنا أن نستقل عن المؤسسات الثقافية التابعة للنظام، وأن نملك الاستغناء عن مجلاته وصحفه، عندها اصطففنا في تكوينات تمثلنا، كما لو أننا عرفنا كيف نتحرر أدبيًا وسياسيًا، وظهرت آنذاك مطبوعات خاصة كثيرة، شعريًا لم يستقر منها في الأذهان إلا جماعة أصوات وجماعة إضاءة، الجماعتان شعريتان تميلان جهة اليسار، الرسمي (يسار الأغلبية) في حالة «إضاءة»، والتروتسكي (يسار الأقلية) في حالة «أصوات»، مما أدى إلى سهولة قبول إضاءة، والتململ من الترحيب بـ «أصوات".

نشاط الجماعتين أجبر المؤسسة الثقافية الرسمية على ضرورة التفكير في ضرورة احتوائهما، واحتواء ما يقلّدهما في الأقاليم، فبحثت، أي المؤسسة، عن شخصيات مقبولة لتكون على رأس مجلات أنشأتها لتكون حظائر جديدة لاستقطاب هؤلاء الخارجين فنيًا وأدبيًا وسياسيًا وحياتيًا، كنّا قبلها قد مررنا بأزمة مجلة الكاتب، التي أطيح بهيئة تحريرها بعد نشر مقالة رأت حرب 1973 حرب تحريك لا حرب تحرير، وجاءوا بهيئة تحرير جديدة على رأسها الشاعر صلاح عبدالصبور، حينها شتمناه بشعره، «يا للإنسان الورقة!»، وابتعدنا عن مجلته، وشرعنا في تكوين جماعاتنا، وساعدنا على ذلك ما سبق أن أشرت

■ «البيان» من أوائل المجلات التي نشرت بداياتي الشعرية

■ أخاف من الرواية على الشعر

■ أغلب الشعراء يفضلون أن يكونوا شعراء عموميين.. شعراء الأغلبية

إليه، ثورة الماستر، فيما بعد، ستنتبه السلطة الثقافية الرسمية، وتغرق الدنيا بمجلات ماستر عميلة لتغطينا. السبعينيات كانت بتعددها هي وقت انتباهنا للتفكير في نيل حرياتنا الإبداعية، والماستر كان أداتنا، وكنّا بعض الفاعلين بها، إلى أن أصبحت ماضيًا لا يعود.

نقلة نوعية

● "قصيدة النثر المصرية» - إذا ما اتُفق على هكذا مصطلح - عبر أجيالها ومبدعيها، هل كانت بدرجة ما تمثّل نقلة نوعية لذاتها أولًا، وللمشهد الشعري بشكل عام؟

- لا يمكن القول بأن سوزان برنار من اخترعت قصيدة النثر، إنها موجودة منذ الإنسان الأول، لكننا لم نكن نملك طريقة التعرف إليها، قبل «جماعة شعر» كانت قصيدة النثر هامشًا على متن، مثل ظل يرفع رأسه في استحياء، آملًا أن يراه أحد، أو لا يراه أحد، ويتلعثم خائفًا أن يسمعه أحد، أو لا يسمعه أحد، ولكنه في أماكنه الخلوية كان يتخلص من الاستحياء واللعثمة، مثلما فعل في «نشيد الإنشاد» و«سفر الجامعة»، ضمن أهم ما فعلته جماعة شعر هو تعميدها في معابد برّية قائمة على الطريق، ولا تشترط تمام طهارة من يدخلها، لا تشترط طهارته أصلًا.

كان أنسي الحاج أشبه برأس حربة مسكونة بالتعدد الثقافي، وحائمًا حول قصيدة النثر الفرنسية وما أحاطها من كتابات ورؤى. ولعله، أي أنسي، كان مسكونًا بكتاب سوزان برنار «قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا»، وحيوات محبوبيه، ومعه، أي مع أنسي، ألف أدونيس بين قصيدة النثر وقصيدة الوزن، وغالبًا لم يفاضل، وحاول أن يرفع الحواجز التي بينهما، كما يزعم مَن لا يعرفون الشعر، واكتشف جسورًا جديدة سوف تمرّ عليها قصيدة النثر الراهنة.

وأتى محمد الماغوط من مكان آخر، ظهرت فيه اللغة وكأنها فِطرة أحيانًا، وكأنها وحش أسطوري أحيانًا، وكأنها في الأخير عدم طاعة المخلوق للخالق، وادّعاء أنه خالق نفسه.

قصيدة النثر المصرية تأخرت عن نظائرها في علاقتها باللغة إلى حد أنها بدت وكأنها تؤكد صحة الزعم بأن مصر قلعة السلفية، قلعة القول بأولوية «ماذا تقول» على «كيف تقول»، فهي تبعث، في الغالب، صوتها ودقاتها متأخرة قليلًا أو كثيرًا عما تجسّده حروفها من معان. مازالت اللغة هي الحلقة الأضعف في قصيدة النثر المصرية، بمعنى أنها الأقل براءة، وشرط قصيدة النثر بلوغ البراءة، بلوغ أقصى براءة، مع العلم أن هذا الأقصى لا آخر له.

أنا وجابر عصفور

● في أواخر التسعينيات كتبت مقالًا، نشر في جريدة أخبار الأدب، هاجمت فيه د. جابر عصفور، ما الأسباب التي دفعتك لذلك؟

■ فرح نجيب محفوظ بكتابة «رواية» مقدس عميق.. أما فرحه بـ «نوبل» فهو الاجتماعي الهش

- أعترف بدايةً أن جابر عصفور كان أحيانًا صديقي وخصمي، وفي أحيان أخرى كان خصمي وصديقي، لقد تعارفنا، أعني جابر عصفور و«جيل السبعينيات»، في لحظة سعينا الدؤوب لتحقيق ذواتنا، التي ظلت عند بعضنا مع الأسف تختلط بشهوة ركوب قطار السلطة، ولو في العربة الأخيرة، ولو في «السبنسة»، أعترف ثانيةً أن بداية جابر كانت تمتلئ وتجيش بمشاعر انبهاره بطه حسين وسهير القلماوي، وله سردية حول استقبال طه لسهير ومعها تلميذها جابر، مما أدى إلى إصرار خياله على تصوّر أنهم ينبغي أن يكونوا أبًا وابنة وحفيدًا، ويكون هو الحفيد، ويكون بعض ميراثه الذي سيصر عليه هو الالتحام بالسلطة على هيئة الدليل والمرشد، ولعل هذا الهاجس خامره مبكرًا وبسذاجة أيامَ كان طالبًا مسحورًا بالبطل، إلى حدّ أن أرسل إلى عبدالناصر رسالة تتمنى الحصول على صورة الزعيم، ووافته الصورة، ها ها... هذا حلم طالب يتحقق.

في الشعر، اعتنق جابر محبة صلاح عبدالصبور وأمل دنقل، الأول أمير الشعراء، الأمير الرسمي، والثاني أمير الشعراء الخوارج، ولما استشعر فيما بعد أن جيل السبعينيات الشعري، هو الجيل المهيأ لوراثة السلطة الثقافية الشعرية، عانقتْ كتاباته شعر هذا الجيل، وخصّني في الحقيقة، وطوال الوقت حتى وفاته، بحفاوة خاصة، لا أعرف مدى صدقها، ولكنني أزعم أنني أعرف جغرافيا وجودها، فعلى الرغم من ترويجه لمقولته زمن الرواية، سيظل الشعر هو النص الأساس في خيال جابر، يتغافل عنه أحيانًا، يغالطه أحيانًا، لكنه مع ذلك ظل يخشاه،

ويقر في بعض مجالسه بأوّليته، أولية الشعر، وفي حوار نشرته مجلة الأهرام العربي في أكتوبر 2000، ختم جابر حواره بالإشارة إلى مقالة له نشرها في مجلة إبداع سنة 1990 أو 1991 بعنوان «شاعر من السبعينيات»، وفيها فرّق جابر بين الشاعر السبعيني الذي ينسب للزمن، وإبداعه ليس سوى تكرار للسابقين، والشاعر السبعيني الذي يسعى إلى تأسيس نوع من الانقطاع، والأخير هو الغالب - عند جابر - ثم يستدرك ويقول: «أما عبدالمنعم رمضان فلديه قطيعة واضحة، خصوصًا بعد أن صفّى وعيه الشعري من أدونيس، وأصبح مستقلًا تمامًا، فتصوّر الشاعر عن نفسه في شعره هو المفتاح الذي يقودنا إلى خصائص كثيرة» انتهى كلام جابر، في حياة جابر كثيرًا ما تشاحنّا، لكنه مات ونحن صديقان.

هارولد وبيكاسو

● يدّعي هارولد بلوم أن «القوة الدافعة الأساسية عند الشعراء في أي عصر هي الدافع للإطاحة بأفضل الشعراء الذين جاءوا قبلهم»، أيمكن أن يعني هذا الطرح وجود صراع أزلي يتبناه كل جيل ليحيا على أكتاف من سبقه؟

- لم يفاجئني هارولد بلوم، تخيلته يختار كرسيه جهة اليمين دائمًا، وهي جهة تخشى التعدد وتعشق سلطة الواحد، أحب أن أخطف عبارة بيكاسو وأرددها، يقول بيكاسو: «الفنان الجيد يسرق، والفنان الرديء يقلّد»، عبارة بيكاسو تدعو تقريبًا إلى سيادة الفن الرديء، أليس كذلك يا عمّ هارولد؟ هل الفن عمومًا والشعر خصوصًا لا يسمح إلا بقمّة واحدة يحتلها شاعر واحد، هارولد يقول: نعم، وأن هناك ذلك الشاعر الذي يصح أن نسميه أمير الشعراء، نعم نعم، أم أنها قمة مفتوحة لكثيرين لا تقوم على الإزاحة بالتقليد، هارولد بلوم يبدو وكأنه خرج لتوه من صندوق داروين، فالقمة لا تكون إلا للأقوى، أحمق مَن يدّعي أن مسرح البقاء مفتوح للكثيرين، بلوم يوهمنا بثبات تصوّرنا للأجمل وفق قواعد يعرفها هو، ويعرفها أشباهه، لذا هي

■ خصوم السبعينيات طعنوا شعرنا بشبح أدونيس

فكرة تقوم على تبريز الواحد، تبريز الملك، وكأننا في سيرك لصراع الأسود، البقاء فيه للأقوى.

سياسيًا هي تخدم أيديولوجيا الملكية، أيديولوجيا اليمين، تخدم الدكتاتورية، ولعلها تنطلق منها أصلًا، وتمتد لتشمل الأدب، هارولد يقف هكذا على يمين العالم، آملًا أن تدعم دكتاتورية الأدب دكتاتورية السياسة، بدعوى حماية الشعر من دعوات الانحطاط، حمايته من السوقة، من رامبو وأمثال حلمي سالم وعبدالمنعم رمضان وعباس بيضون، هارولد بلوم يضيف: وأبو نواس.

«متاهة الإسكافي»

● دعنا على سبيل المثال، أولاً، نقرأ من قصيدة «باب السفر» التي تقول فيها:

كان أبي يتوكأ مثل الرجال الفرادَى
على أول النورِ
كانت ملامحه تتخايل مثل
ملامح طفل صغيرٍ
ولمّا يكاد يسلّم رايتَه
يتذكّر أمي ويمسح جبهتَهُ
ويفكر فيما يفكر فيه البرابرة المتعبون.

يمكنك قراءة هذه القصيدة بوعي كاشف وفلسفي ناضج والاستمتاع بها، لكن شيئًا آخر يحدث عندما نفكر في الأمر كجزء من سيرة ذاتية لك تضعها بين أيدينا.

- هذه السطور الشعرية تبدو وكأنها امتداد لمتاهة الإسكافي، ولأنني أدعي أنني أقرأ الرواية وأكتب الشعر، قامرت ذات فترة، وشرعت في كتابة سيرة ذاتية، كانت سيرة طفولة أكثر، عنوانها متاهة الإسكافي، لماذا الإسكافي؟ لا أعرف تقريبًا، دار الآداب في بيروت نشرتها في مطبوعة فاخرة، وطبعًا غالية السعر، على غلافها صورة أبي بملابسه الريفية، فيما كان على غلافها الآخر عنوان الهجر، حيث سيرة الفنانة التشكيلية نجاح طاهر. كتاب بغلافين وسيرتين لشاعر مصري وفنانة تشكيلية لبنانية، الكتاب البيروتي كان غالي الثمن، فيما بعد استأذنت نجاح طاهر ودار الآداب، ونشرت المتاهة بمفردها في دار الثقافة الجديدة، بفضل الروائي صنع الله ابراهيم، مسؤول الدار، هل سأكتب جزءًا ثانيًا، على أمل أن أصل فيه إلى زمن تخيفني الكتابة عنه؟ أعلم أن السيرة حجتي لدخول الجنّة العذراء التي أشتهي استعادتها، أعلم أنني أخاف من الرواية على الشعر؛ لأن الرواية تخيف إذا كانت أنثى، تخيف أكثر إذا كان من سيكتبها شاعر.

● أنت سليل عائلة الإبداع الشعري السبعيني، بما لتلك الحقبة وبما عليها. بماذا يمكن تقييم تجربة ذاك الجيل، ومنجزه الإبداعي؟

- هل الحقيقة أنني فعلًا سليل الإبداع الشعري السبعيني؟ فليكن! فليكن! كان معظمنا مزامنًا تقريبًا لميلاد حركة يوليو 1952، التي بعد ذلك أصبحت ثورة يوليو، ربما يسبقها أحدنا بسنة أو سنتين أو يتلوها بمثلهما، أمهاتنا مع الأسف أرضعتنا لبنًا ناشفًا من أحلام قادة الحركة، الذين كانت ثقافاتهم قصيرة القامة، قصيرة النفس، تكاد لا تتجاوز حدود ظلالهم. في المدرسة الابتدائية صبّوا لنا عصائرهم التي تصوّرناها ستروينا، وحمدناهم، وبعدها بفترات أدركنا أننا كنا قطعانًا من المغشوشين، سنة 1967 تحرّشت بنا رغباتنا، ودفعتنا أن نبلغ الجامعة، كنا نريد أن نعرف، كثير منا التحق بجامعة ما بعد النكسة، ولأننا أصبحنا أكثر قدرة على تمييز الأصوات، سمعنا وبرعب أنين الأغلبية، وبرعبٍ مماثل سمعنا طنين الحكام والكهنة، وعلى أرصفتنا أرعبتنا هيئات المهزومين، وعلى أرصفتهم لم نرهم، جعلوا بيننا وبينهم سدًا، آنذاك تركنا عافيتنا ودخلنا الشعر من بوابات عدم الرضا، من بوابات المقاومة والرفض، رومانسيتنا آنذاك احترقت مثل وردة عابرة، عرفنا أن عين عِلم العسكر، بكسر العين، غالبًا ما يكون جهلًا موروثًا، وبقدر ما عطلتنا هذه الفترة، بقدر ما صهرتنا وأوقفتنا أمام بوابات الرفض الذي امتد من رفض العسكر إلي رفض سلطات الأسرة والأب والماضي والسماء. كنا نأمل أن نكون نحن، صارت الجامعة ميدان سباق للقفز إلى أعلى وإلى أمام، حمّى الرفض أصبحت آيتنا وأمارتنا، نحن الأبناء البكر للنكسة، الأصح أبناء النكسة الذين بسبب ارتفاع منسوب أحلامنا، وانخفاض منسوب معارفنا، كان لا بدّ أن نتحالف ونتكتل ويسمينا البعض جيل السبعينيات. جيل السبعينيات هذا هو ذلك الجيل المنكوب في تاريخنا الأحدث، فهو دائما الجيل الذي فوجئ أكثر من مرة بسقوط روحه تحت أقدام محمية بأحذية سوداء غليظة، بسقوط روحه فوق غطاء المائدة التي أعدها الجميع، أسلاف أهل يوليو وأخلاف أهل يوليو، منذ ذلك التاريخ اغتربنا عن أنفسنا، منذه حاولنا استعادة أنفسنا، منذه أزحنا بعيدًا عنّا ثقافات الإجابات المفحمة، على أمل ميلاد ثقافات الحيرة والتساؤل والبحث، بعضنا لم يستطع البقاء في الحيرة، تعب، فبحث عن انتساب يريحه، وبعضنا رفض كل انتساب وتصالح مع العدم، وأغلبيتنا أدمنت البحث والاختلاف بغضّ النظر عن الوصول، وأقلية منّا أدمنت دوام الصيرورة ودوام التحولات، التحولات، حيث لا أول ولا آخر، حيث الطريق عند كل نقطة يتعدد، ويصبح طرقًا، هي الأخرى تتعدد، وهكذا بلا نهاية، تعبت أغلبيتنا، البعض مات دون أن يصل، البعض غسل يديه وارتكن إلى جدار ليستريح، نحن فعلا جيل النكسة، جيل السبعينيات، ومع ذلك نزعم أننا فتحنا النوافذ على كل الطرق، وحرصنا على أن نكون جيل التعدد، لا يمكن لحلمي سالم أن يشبه أحمد طه، ولا لرفعت سلام أن يشبه بشير السباعي، ولا يمكن لي أن أتبنى رؤيا حمدين صباحي ورؤيته، ولا يمكن للسماء البعيدة جدًا عن رأسي أن تكون هي السماء القريبة جدًا من رؤوس بعض الآتين بعدي، هكذا أصبحنا جيل التعدد الذي لا آخر له، سوف نحب ظلالنا لكننا في الأخير سنرجمها، نعم نعم سنرجمها.

■ أرتجف من «العالمية» إذا اقتربت من الشعر

عالمية الشعر

● جميع الشعراء لديهم رؤى قريبة الشبه عن قصيدة النثر، ولكل من تلك الرؤى تركيز مختلف يشير إلى مساهمة ذلك الشاعر في إنتاجه الخاص.

هل، برأيك، قصيدة النثر الآن في حاجة إلى أن تصبح جزءًا من الحداثة الإبداعية في المشهد الأدبي العام؟

- دعني أعترف أمامك، دون خجل ودون خوف من أي اتهامات يمكن أن تصفني بصفات بشعة تليق بكل ثقافات التقليد والنقل، دعني أعترف بأنني أكاد أرتعب وأرتجف من كلمة العالمية إذا اقتربت من هذا الشبح الجميل الغامض الذي نسمّيه الشعر. كلنا، كلنا نعرف ونكرر العبارة المحفوظة والمدوخة، والتي تفيد بأن المعاني مطروحة على قارعة الطريق، وكلنا، كلنا ممن يعرفون الشعر كصوتٍ أولا ومعنًى ثانيًا، يلحّون على أنه، أي الشعر، ليس فاترينة المعاني، وعلى أنه ببساطة ضفيرة من جديلتين، الأدق مركّب من عنصرين يستحيل فصلهما، هما الصوت والمعنى، كل كتب الشعر تتمهل أمام الاثنين، ولكنها تتمهل أكثر أمام الصوت، لأنه المميز الأول لشعر كل شاعر داخل كل لغة، والمميز الأول لشعر لغة ما عن سواه من شعر اللغات الأخرى؛ فالصوت عندهم هو العلامة الكبرى، الآية الكبرى، لهذا يصرّ دائمًا منظّرو الشعر في مختلف العصور على تقديم الصوت وتأخير المعنى، مادام المعنى عملة متداولة في كل اللغات، وربما المعنى ذاته، المعنى الذي يقبل أن يُسرق أو لا يُسرق، وها هي كتب سرقات الشعراء تقوم على تدوين سرقات المعاني التي قد تُمتدح،

■ أنسي الحاج أشبه برأس حربة مسكونة بالتعدد الثقافي

إذا تفوّق صوت النص السارق على صوت النص المسروق، لأنّ الصدارة في الشعر تكون دائمًا للصوت، بلغة أخرى، الشعر شعر بصوته وليس بمعانيه، واللافت أن كل ترجمة للشعر من لغته الأصلية إلى لغة أخرى هي نفي للصوت، لذا تبدو بالضبط مثل خيانة متفق عليها، هذه الحقيقة البسيطة بساطة البداهة، ستصر بعض أغلبية على إنكارها والنيل منها، في سبيل ادعاء عالمية الشعر، والدعوة إلي كونها غاية الشعر وذروة سنامه، وأعني العالمية.

انتصار الشعر

● "الشعر فعلك الحداثي الذي ولِدتَ به وجُبلت عليه".

من خلال تجاربك الشخصية وعطائك الإبداعي الممتد، هل أتى الوقت لأن نقرّ بانتصار الشعر - كمنجز بشري - على صنوف الآداب الأخرى؟

- ليس الشعر في صراع مع الفنون الأخرى، صحيح أنه كان أول فنون اللغة، عرفها في البداية كصوت، فأصبحت اللغة كصوت علامة الشعر الأولى، وهذه العلامة لم ينافسه فيها فن لغوي آخر، إلا بقدر وحساب، بعضها رغب في هذه العلامة والتمسها التماساً، في أيامنا سعى الكثير من الشعر باسم الحداثة وما بعدها إلى التخفّف من سلطة الصوت، والنزوع إلى تهجين الشعر بغيره، وتهجين غيره به، مما هددها، أعني سلطة الصوت في الشعر، كلنا الآن يعرف أن تلاقح فنون الكتابة سمة من سمات زمننا، نقاء النوع أصبح طقساً قديماً، لذا سيبحث شعر كل شاعر عن العلامة التي تميزه، وهكذا يصبح تعريف الشعر متعددا وغير متفق عليه، أصبح تقريباً بعدد الشعراء، قد يكون هذا مقدمة ثراء وبقاء، وقد يكون مقدمة فناء وموت، في الماضي كانوا يعتقدون أن الشعر صعب وطويل سلمه، لا يرتقي فيه الذي لا يعلمه، الآن أصبح الشعر أكثر صعوبة مادام قد أصبح أكثر سهولة، الشعر الآن وبيقين أصبح أصعب.

جوائز الشعر

● من مراقبتك الدقيقة للمشهد الأدبي في مصر والوطن العربي، هل هناك ما يستدعي الانتباه له، من خلال الإصدارات، الجوائز الخاصة بالشعر، البرامج الثقافية أو ما شابه، مثلًا كبرنامج «أمير الشعراء"».

- الاستبداد يبدأ من أن أشرع في تحويل ما أعتقده إلى قانون عام، هذه مقدمة تسمح لي بألّا أخلط نشاطي الإبداعي بأنشطتي الاجتماعية مثل الجوائز؛ لأنّه في الحقيقة لا يوجد ما يمكن أن أسميه أفضل قصيدة مثلًا، فللقصيدة مكانة تخصها، هناك قصائد كثيرة نحبها ولا نستطيع ترتيبها والمفاضلة بينها، نحن بالمفاضلة نُخضع الفن لما هو ضده، الفن الجميل يتجاور ويتحاور، ولا يمكن أن يتسابق، إنه يتكامل، المفاضلة

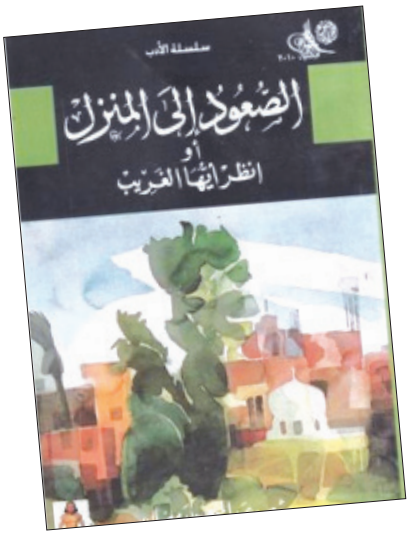

فعل تسويق، فعل يخشاه الفن لأنه يخشى المقارنات. كل عمل جميل هو عمل مكتفٍ بذاته، أنت كفنان تستعد للإبداع بالاستغراق في العمل، ثم تصطاده بإتقان العمل، ومع ذلك إذا أتى واكتمل سوف تحسّ بأنه هبة، ولهذا لا بدّ أن يتعالى، وأن نتعالى معه لنحمي مكانته ومقامه، لنحمي رغبته في أن يبدو كـ «هبة». طوال الوقت أتصور أن فرح نجيب محفوظ بكتابة رواية هو فرحه المقدس العميق، أما فرحه بـ «نوبل» فهو فرحه الاجتماعي العابر، فرحه الهشّ. الفن مثل الحب يوجد لذاته، والجوائز محض درجات سلم للوجود الاجتماعي، الفن يطير بنا، والجوائز أحيانًا تكون ثقيلة إلى حد ألّا يستطيع حاملها الطيران بعدها، يمكن لكل قارئ أن يعتبرهذا كلام شخص لم يستطع أن يحصل على جائزة في حياته، وهذا حقيقي.

عزوف عن التكنولوجيا

من الواضح أنك تعيش عزلة ما، ولديك عزوف واضح عن تعاملك مع التكنولوجيا، فما سبب ذلك؟

- أعترف بأنني لا أملك إجابة موضوعية مقنعة، أملك فقط الاعتياد وبعض التفكير الخرافي الذي قد يكون خاطئًا، نعم لا توجد أسباب، فقط أصبحت غير قادر على ذلك الضياع الذي قد يتيح لك معارف لا آخر لها، لكنه لن يتيح لك المعرفة بعمق. كنت ذات يوم أصغي إلى من يقول، لا تصرف عمرك في معرفة كل الأشياء، يكفي أن تعرفها معرفة العابر، واعرف شيئًا واحدًا معرفة المقيم، إذا استغرقك العابر ستضيع، والعابر فيه إغراء، وخزانة جسدي تدربت على ألّا تحفظ العابر، تدربت على حفظ

■ خزانة جسدي تدّربت على حفظ المقيم، لا العابر

المقيم، وأنا في الحقيقة أخاف على خزانة جسدي، وأخاف أن تهبط حرارة جسدي ويبرد قلبي، لذلك أدافع عن اعتياداتي، وعمّا سبق من عمري، لا أملك أسبابًا تصلح للإقناع، أملك فقط حرارة إنسانية رأيتها تضيع تحت عجلات هذا التقدم، أعلم أنني أدافع عمّا تراه خرافة، لذا أرجو أن تسامحني.

كما أود أن أذكر أيام كنت طالبًا بالجامعة، أعني أوائل السبعينيات، كنت أكتب قصائد عمودية، صحيح كانت بعض بواكير شعري، التي نشرت بعضها عن طريق البريد في مجلة البيان الكويتية، ولعلها إحدى أوائل المجلات التي نشرت بداياتي، لذا أذكر المجلة بحنين يرفع صوتي وأنا أقول: مجلة البيان الكويتية.

الشعر مستقبلي

● تراتيلك الشعرية لا يزال صداها يتردد في البرية. حدثنا عن آخر أعمالك الأدبية؟

- منذ 3 سنوات تقريبًا،عندما اجتاحتنا جائحة كورونا وخطفت، بكل دناءة، حياة صاحبتي، وكتبتُ مرثيتها التي كانت مثل وحي، والتي لم أنشرها في ديوان، لأنني منذها لم أكتب شعرًا سواها، والتي أمل ألّا تكون خاتمة طريقي، فالشعر ليس رفيقي الذي يمكن أن أعيش دونه، الشعر منذ عرفته، عرفت أنه مستقبلي، نعم الشعر مستقبلي، وإذا لم يظل كذلك، سأعترف بأنني أصبحت عالة على نفسي.

غواية القنص

● سألتك عن الهاجس الكائن بين ضرورتين: ضرورة تجديد الخطاب الشعري في قصيدة تقليدية، وضرورة تأسيس قصيدة حداثية تحررية، مطّلعة على المكون الثقافي والمعرفي «الكوزموبوليتاني». أنت بين أيهما تُعاين مكانك؟؛ فكانت إجابتك مختصرة لحدّ كبير!

- هذا ما يمكن أن تسميه غواية القنص، قنص الإجابة التي تعي بذاتها المعنى بأقل الكلمات. وعلى أية حال، كما أقول دومًا: أنا هنا أبحث عن ظلي، الظل الذي يضع قدمه في الأرض وهامته تناطح الأفق، ولكنني في أحيان الأمل وكذا في أحيان اليأس، أحس وكأنني بلا ظل، أحس وكأنني الشاعر الذي فقد ظله.

رسالة خاصة

● في الأخير، يهمنا أن تبعث برسالة خاصة إلى الأجيال القادمة.

- على الرغم من أن دمي ساخن أغلب الوقت، فإنني لا أملك الوقاحة التي يمكن أن تسمح لي بالتدخل بين الأجيال القادمة وحقها في ألا تتبع نصائح من سبقوهم، الماضي والحاضر هما اللذان سيخسران إذا لم يسمعا نصائح المستقبل، إذا لم يحاولا استشرافه والإطلال عليه.

فلسطين في الشعر الكويتي

د. خليفة الوقيان

طُلب منّي المشاركة بمحاضرة أو حوار عن «فلسطين في الشعر الكويتي»، وحاولت الاعتذار، لأنني كتبت عن هذا الموضوع قبل 50 عاماً، إذا كانت رسالتي للماجستير عن «القضية العربية في الشعر الكويتي»، وفيها فصل عن فلسطين، كما شاركت في ندوات عن تلك القضية المركزية، وليس ثمّة ما يمكن أن أضيف إلى ما قلت، لكن مع الإلحاح وافقت، وخاصة أن الأمر يتعلق بفلسطين التي تحتل في ضمائرنا موقعاً خاصاً.

كان أمامي 3 أيام لإعداد ذلك، وكان هناك تحدّ آخر، وهو أن الموضوع يقوم على الاستشهاد بنصوص الشعر التي أسهم فيها الكويتيون لمناصرة الحق العربي في فلسطين. وهي أكثر من أن يتّسع الوقت لقراءتها، إذ انها تمتد منذ عام 1928 حتى يومنا هذا، فضلاً عن الحديث عن المراحل التي مرّ بها المشروع الصهيوني لإقامة وطن لليهود في فلسطين منذ عام 1616، وصدى كل مرحلة وكل حدث في الشعر الكويتي.

الحركة الصهيونية

تهدف الحركة الصهيونية إلى جمع شمل اليهود، وإقامة كيان قومي لهم في فلسطين، ولتحقيق هذا الهدف، نشأت منذ فترة مبكرة عدة جمعيات يهودية، كان دورها نشر الوعي القومي والدعوة إلى التجمّع.

"وفي عام -1616 وهو تاريخ مهم - صدر كتاب (نداء لليهود) للسير هنري فيتش، وهو أول كتاب يطالب بإنشاء دولة لليهود تجمع فئاتهم وأفرادهم في ظل قومية موحدة» (1).

ثم نشر الحاخام هيرش كالشير في العام التالي كتاب (روما والقدس)، الذي نادي فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين، ويُعد كتاب ليون بانسكر (التحرير الذاتي)، الصادر عام 1882 أقوى الكتب الصهيونية الأولى وأعمقها» (2).

«أما تيودور هرتزل، فيُعدّ واضح الأساس في بناء الصهيونية من خلال كتابه (الدولة اليهودية)، الصادر عام 1815». (3).

ومع ظهور هرتزل، بدأ العمل الصهيوني يتخذ طابع التنظيم، حيث عُقد المؤتمر الصهيوني في 28 أغسطس 1897.

مجلس الشورى الكويتي ووعد بلفور

توالت الأحداث بعد ذلك، وصولاً إلى عام 1917، حين صدور وعد بلفور في نوفمبر 1917؛ الذي مثّل مرحلة تحوّل كبرى على طريق قيام إسرائيل.

أيقظ وعد بلفور الشعور بخطورة ما سوف يجري في فلسطين، وكان الموقف الكويتي من ذلك الموعد دالاً على وعي مبكر بما يعنيه من تهديد، من جهة قيام كيان صهيوني في أرض فلسطين، التي تمثّل حلقة الوصل بين العرب في قارتَي آسيا وإفريقيا.

وكان أول تحرك تجاه ذلك الوعد البائس، بعد وقت قصير من صدوره، هو تحرّك مجلس الشورى الكويتي، الذي أسّس عام 1921، إذ بعث رئيس المجلس الحاج حمد عبدالله الصقر خطاب احتجاج إلى رئيس مجلس العموم البريطاني عام 1921، ضد صدور ذلك الوعد المشؤوم (4).

ثم توالت إسهامات الكويتيين في نصرة الحق الفلسطيني بكل الوسائل، ففي عام 1921، زار مفتي القدس الحاج أمين الحسيني الكويت، فجُمعت التبرعات لفلسطين بمناسبة زيارته.

كما باشر الكويتيون بتهريب الأسلحة إلى المجاهدين الفلسطينيين منذ بدء الانتفاضات ضد اعتداءات اليهود، مثل انتفاضة حائط البراق عام 1929، وثورة 1936، ومن أشهر من قاموا بالمخاطرة في نقل الأسلحة إلى فلسطين عبدالله حمد الصقر وأحمد القطامي.

إسهامات الشعر

كان شعراء الكويت أصحاب السبق في الانتصار للقضية الفلسطينية على المستوى القومي، وتعود أقدم النصوص الشعرية التي وصلتنا عن فلسطين إلى عام 1928، حين قال خالد الفرج شاعر الكويت والخليج العربي عن «وعد بلفور»:

هزئ القويّ بـ «سيفر» وعهودها
ولوعد بلفور بنا أطواق (5)

فهو يشير إلى رفض مصطفى كمال أتاتورك معاهدة «سيفر» التي فرضت على تركيا بعد الحرب العالمية الأولى، على حين يطوقنا وعد بلفور بقيوده.

وفي العام التالي 1929م يقول خالد الفرج عن «وعد بلفور»:

بلفورُ إن اليومَ عيد
فَالبس له الثوبَ الجديدْ
هذي فلسطينُ الوديـ
ـعة في مصائبها تميد
من قبل وعدِكَ بالهنا
عاش المسَوَّدُ والمسود
الدار دارُ جدودهم
من عهدِ كنعانَ البعيد (6)

انتفاضة البراق عام 1929

ويقول محمود شوقي الأيوبي عن انتفاضة البراق عام 1929:

وفي فلسطين من بلفور مهزلة
هزّت لها من خمار الحقد أذقان
فحادث القدس ساء الناس قاطبة
و«للبراق» على التنكيل برهان
واليوم أشعلتم ناراً تؤجّجها
أيدي اليهود وهم للفتك ذؤبان
فينتيوس وصمويل وأوّلهم
بلفور كلهم للجور أوثان
لهفي عليك فلسطين العزيزة يا
مهد السلام وللإسلام بستان
في كل شبر شهيد حوله جثث
من الضحايا الأُلى للبغي ما دانوا (7)

وبعد المواجهات بين الفلسطينيين واليهود في انتفاضة البراق، قامت سلطات الانتداب باعتقال عدد كبير من الفلسطينيين، والحكم على ثلاثة مناضلين منهم بالإعدام وهم: فؤاد حجازي، وخليل جمجوم، وأحمد عطا الزير في 17 من يونيو 1930، فكتب الشاعر محمود شوقي الأيوبي قصيدة يشيد فيها ببطولة الشهداء الثلاثة، وفيها يقول:

فؤاد شهيد الحق أسرى مهللاً
وخلف ذكرى وهو كالطفل طاهرُ
وسار خليل للفراديس مشرقاً
نقي المحيا وهو كالورد عاطرُ
وأحمد لم يحفل مشى للردى ولم
يشنه ظلام الحزن والوجه ناضرُ
هموا هتفوا لبيك لبيك أمتي
وساروا على الأكباد شفدا وخاطروا
ضحايا وحوش الإنجليز تضرّجت
من الدم منها أرضنا والحفائرُ (8)

ثورة 1936

اشتدت مقاومة الفلسطينيين لمشروع إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بتأييد من سلطة الانتداب البريطانية.

ويُعد الشيخ عزالدين القسام خير مثال لعلماء الدين الذين فضّلوا مواجهة العدو والاستشهاد بدلاً من الاكتفاء بحثّ الآخرين على الجهاد. وقد واجه قوات الاحتلال واستشهد في 25 نوفمبر 1935، وكان استشهاده شرارة أشعلت نار الثورة الفلسطينية عام 1936م.

ويقول فهد العسكر مخاطباً البعثة التعليمية الفلسطينية التي جاءت إلى الكويت عام 1936م؛ أي عام انطلاق الثورة:

بالله يا رسل الثقافة خبّرو
نا كيف حال الأخت يا إخواني
أعني فلسطيناً وكيف أمينـ (9)
ـها وجنوده وبقية السكان
بعد الكفاح وبعد ما بثّ اليهو
دُ شرورَهم فيها بكل مكان
إنّي سمعت نداءها وسمعت تَلـ
ـبيةَ الضياغم من بني عدنان
وزئير أشبال العروبة من بني
غسّان لا نُكبوا بنو غسان
لا درّ درّ الغادرين فإنهم
وعدوا اليهود بقسمة الأوطان
وبنيّ كالغرباء في أوطانهم
أوَ ليسَ هذا منتهى الطغيان؟ (10)

أما صقر الشبيب، فقد كتب عن فلسطين قصائد كثيرة، تتبّع فيها كل مراحل النضال الفلسطيني، وكرّر الدعوة إلى نصرة الحق الفلسطيني، ومن ذلك قوله:

بني يعرب من فاته أمس سَلةُ
حساماً به من قومه يحسن الذبّا
فما فاته أن تمنح اليوم كفُّه
فلسطين ما يمحو به ذلك الذنبا
فجودوا بكُثر المال والقل واذكروا
هنالك أرحام العروبة والقُربى (11)

ويستشهد الشبيب بالقائدين الشهيرين فوزي القاوقجي وسعيد العاص وصحبتهما:

فمرحى لفوزي العلا وسعيدها
وصحبهما المعلين أعلامها القشبار

وفي عام 1937، ينشر الشبيب قصيدة يروي فيها أنه لا غد للعرب إن تراخوا في مناصرة إخوانهم بفلسطين، لأنّ القضية عربية:

وما جبنت فلسطين ولكن
عليها للعدى كثُرَ الجنود
وها هي تستغيث بنا فحتّى
متى عن أن نُعينَ بنا جمود
فليس العجزُ تعذل إن تراخت
بنجدتها ولا تُلحى الجنود
فإن مَتّوا بدينهم إلينا
ونعم الرابط الدّين الفريد
ففيها بيننا لغة وديـن
وفيها بيننا النّسبُ الأكيدُ (12)

رثاء الشهداء

ازدادت قسوة سلطة الانتداب في مواجهة الثوار الفلسطينيين، وبلغ عدد الذين الذين أعدموا 148 مناضلاً، من بينهم الشيخ فرحان السعدي، الذي كان في الثمانين من عمره، وأعدم في شهر رمضان وهو صائم، ويقول محمود شوقي الأيوبي عن إعدامه:

حيّوا بفرحان السعديّ شيبَته
تلك التي حولها الأنوار تزدخرُ
في الخالدين مضى في زورق عبقت
به الطيوب بمن يوم اللُّقا صبروا
عجبت من أمّة «التاميز» كيف غدَت
صبرى على مذبح الشُّذاذ تُنتحَر
أين العقول التي راضت ثقافتها
«كمبردج» لم تغنها الآيات والنُّذر
هذي فلسطين قلب في عروبتنا
تُلقي دروساً ستأتي بعدها أُخر (13)

هجرة اليهود إلى فلسطين

اتخذ الرئيس الأميركي ترومان أول إجراء إيجابي في مصلحة اليهود، حين طلب من رئيس وزراء بريطانيا، (أتلي)، السماح بدخول 100 ألف لاجئ يهودي إلى فلسطين (14)، واقترحت سلطة الانتداب البريطانية تشكيل لجنة إنجليزية - أميركية عام 1946 للنظر في قضية الصراع في فلسطين، وكان من بين توصيات تلك اللجنة «السماح لـ 100 ألف يهودي أوروبي بدخول فلسطين، بناء على ما طلبه الرئيس ترومان» (15). وكان لتقرير هذه اللجنة صدى سيئ لدى كل معنيّ بالقضية الفلسطينية، يقول الشيخ عبدالله النوري من قصيدة كتبها عام 1946:

فتى الشرق الأعلى ومنبت نشأته
إليك انتهى أمر دُهينا به أمر
تضامُ فتاة العز وهْيَ قريبةٌ
إليك وفيك المجد والشرف والكبر
أتشقى فلسطين وأنتم حماتها
فأين السيوف البيض والأسل السُّمر؟
وفي المسجد الأقصى ومسرى نبيكم
تذلّ به التقوى يُهان به الذّكر
وهل يرتضي الإسلام هذا المسجد
إليه سجوداً في صلاتهم خرّوا (16)

ويقول عبدالله أحمد حسين عام 1946:

حيّوا الدماء السائلا
ت على رُبا القدس الشهيد
عودوا الزمجر الحد
يد فما يفيد سوى الحديد
واستخلصوا العذراء من
أيدي الزبانية اليهود (17)

قرار تقسيم فلسطين عام 1947

أقرت الأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين بتاريخ 29 نوفمبر 1947م، وأعلنت بريطانيا أنها ستنهي الانتداب على فلسطين، الأمر الذي يتيح لليهود إعلان قيام دولتهم. وارتفعت الاحتجاجات ضد قرار التقسيم في فلسطين وفي الوطن العربي، يقول خالد الفرج مخاطباً مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة عام 1947:

يا مجلس الأمن، بل يا هيئة الأمم
ماذا التلاعب في الألفاظ والكلم؟
هل العدالة سلب المرء موطنه
والأمن هل هو في التقتيل والنّقَم؟

ويرى الفرج أن الاضطرابات والتظاهرات لا تعيد الحقوق، ولا سبيل إلى تحقيق الأهداف إلا باللجوء إلى القوة، وإقامة الوحدة:

ما وعد بلفور إلّا بدء سلسلة
من المظالم في التاريخ كالظلم
مضت ثلاثون عاماً وهو يكلؤهم
كالأم تحضن طفلاً غير منفطم
ما في الصياح ولا الإضراب منفعة
وليس ينفع إلا بطش منتقم
يا قوم ساعتنا العظمى لقد أزفت
وليس غير امتشاق الصارم الخَذِم
فكوّنوا وحدةً منكم مؤيّدة
بكل مقتدر بالله معتصم (18)

ويقول الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري، مخاطباً الوسيط الدولي الكونت برنادوت:

رفعوا عن مسرح الظلم ستاراً
وانبروا يبغون في الأرض جهاراً
أوغلوا في الجو حتى خلتهم
في مدى جورهم قوماً سكارى
عبث بالحق أيديهم وقد
ملأوا الدنيا خراباً قراراً
أو لم يأتكَ ماذا فعلوا
حتى سنّوا لفلسطين قراراً
عبرة صهيوني في أمواله
وتخلّوا عن بني العرب ازوراراً (19)

ويصف خالد الفرج مذبحة دير ياسين الوحشية التي حدثت في التاسع من شهر أبريل 1948م.

وغدت فلسطين الشهيدة مذبحاً
فيه الدماء جرت من الأوداج
في «دير ياسين» وفي أخواتها
ذبح الأهالي مثل سرح نعاج
والمسلمون جميعهم في شاغل
من سفسفات أو عقيم لجاج (20)

انتهاء الانتداب

أعلن انتهاء الانتداب البريطاني في فلسطين بتاريخ 15 مايو 1948، فبدأت الجيوش العربية بدخول الأراضي الفلسطينية، تنفيذاً لقرار صادر من جامعة الدول العربية، فكانت الفرحة عارمة، كما كان الأمل كبيراً في النصر على قوى العدوان.

وعبّر شعراء الكويت عن مشاعر المواطنين في تلك المناسبة، فيقول الشاعر أحمد السقاف من قصيدة نشرها في شهر أغسطس 1948:

أقسم العرب أن تُصان فلسـ
طينُ وألا يروعها أي قاسم
وتنزّت مما ارتكبتم ملايـ
ين وخفّت إلى الجهاد عوالم
فالعقال الأبيّ شد على العز
م، وليست على الثبات العمائم (21)

واستمر شعراء الكويت في تتبّع كل حدث يقع في فلسطين، ولم يتوقف الشعر الكويتي عن مناصرة الحق الفلسطيني منذ صدور وعد بلفور حتى يومنا هذا.

الهوامش والحواشي

1) انظر: صابر طعيمة: اليهود في موكب التاريخ، صـ 566.
2) انظر: د. عبدالوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، صـ 30..
3) سعدي بسيسو: إسرائيل جناية وخيانة، صـ 19.
4) وردت هذه المعلومة في محاضرة للأستاذ محمد السداح في ديوانية التيار العزوبي بالجهراء، وغطتها «الجريدة» الكويتية في عددها الصادر بتاريخ 10/ 3/ 2017.
5) خالد سعود الزيد: ديوان خالد الفرج – تقديم وتحقيق، صـ 153.
6) المصدر السابق، صـ 154 - 155.
7) ديوان ألحان الثورة، صـ 198.
8) المصدر السابق صـ 198.
9) يقصد بأمينها «أمين الحسيني» مفتي القدس.
10) عبدالله زكريا الأنصاري... فهد العسكر... حياته وشعره، صـ 148 ط 3".
11) ديوان صقر الشبيب، صـ 137.
12) المصدر السابق، صـ 191.
13) ديوان ألحان الثورة، صـ 225.
14) انظر: آلان تايلور: مدخل إلى إسرائيل، صـ 75.
15) هنري كين: فلسطين في ضوء الحق والعدل، صـ25.
16) ديوان من الكويت.
17) مخطوطة.
18) ديوان خالد الفرج.
19) مجلة كاظمة - أغسطس 1948.
20) ديوان خالد الفرج.
21) مجلة كاظمة - سبتمبر 1948.

رحلةٌ على الطائرة

فلاح محمد البحيري *

لوحة للتشكيلي السوري خالد الساعي

الصَّفحُ أفضلُ ما يطويهِ نِسيانُ
والجهلُ بعد بُلوغِ العلمِ خِذلانُ
دَعِ الصغائِرَ لا تأبهْ لِرُؤيَتِها
فالعمرُ يمضي وما للوقتِ أثمانُ
قضيتُ عمرًا على الآمالِ أرقُبُها
حتى عَلِمتُ بأنَّ الظنَّ خَوّانُ
إنَّ التَّمنّيَ للإنسانِ مضيَعةٌ
للوقتِ والعمرُ يمضي فيهِ خُسرانُ
إنَّ الغَنيَّ الذي أمسى بعافيةٍ
وليس يطلبُهُ في الناسِ ديّانُ
حرٌّ يطيرُ مع العُقبانِ حائِمةً
من تحتِهِ قِمَمٌ بيضٌ ووديانُ
نَحْوَ الشُّعوبِ التي لا زالَ موطِنُها
بِكرًا كما كانَ ما آذاهُ عُمرانُ
الغيمُ يُمطِرُ والأنهارُ خالِدةٌ
من تحتِهِم وزهورُ الأرضِ ألوانُ
في موسمٍ تستعيدُ الأرضُ زينَتَها
بعد الغِيابِ وتشدو جاءَ نَيْسانُ

* * *

كأنهم في جِنانِ الخُلدِ لو شَكَروا
لنالَهُم من رِضا الرحمنِ غُفرانُ
بطائِراتٍ أجيجُ النَّفْثِ يدفَعُها
وقودُها ضَغطُ بِنْزينٍ ونيرانُ
تطوي السماءَ على الآفاقِ مُسرعةً
كأنّها في أعالي الجوِّ حِيتانُ
على المَدارِجِ إذْ تُدني زعانِفَها
من قبلِ أن ينويَ الإقلاعَ قُبطانُ
يقودُها بِزمامِ العلمِ يرفَعُها
يرقى السماءَ كما يرقاهُ شِيهانُ
شيئًا فشيئًا فلولا اللهُ يُدرِكُنا
لَما تمكَّنَ منها وهْيَ أطنانُ
ترجو السماءَ بِنَفّاثاتِها سَمِعتْ
ضجيجَها وهْيَ في مِعراجِها الجانُ
حتى تكشَّفتِ الآفاقُ واضِحَةً
زرقاءُ ما طالَها عَجٌ ومِيثانُ
فوقَ الصحارى التي أشتاقُ رؤيَتَها
كما رواها لنا بالأمسِ شِيخانُ
مِعشابُ تقفِزُ فوقَ الأرضِ أرنبُها
والرِّمْثُ من حولِهِ ضَبعٌ وغِزلانُ
وطائِرٌ أشْخَصُ العينينِ أرعَبَهُ
ذِئبٌ يَئِنُّ طَوالَ الليلِ سِرحانُ
سادَ المكانَ بصوتٍ لا مثيلَ لهُ
وأوقدتْ في ظَلامِ الدَّربِ غِيلانُ

* * *

من قبلِ يومٍ أتى أصحابُ مقتلِها
إذْ حالَ من دونِهِمْ نِفطٌ وخَزّانُ
لم يتركوا طائِرًا في الأرضِ أو شجرًا
إلا وغاروا عليهِ حيثُما كانوا
قتلًا وقلعًا كأنَّ الأرضَ مُهمَلةٌ
أو أنهُ ليس فوقَ الأرضِ سُلطانُ
حتى تقلَّصَتِ الأحياءُ فانقرَضَتْ
فما تبقّى على الصحراءِ حَيَوانُ
صحراءُ قاحِلةٌ زالت معالِمُها
لا حيَّ إلا أنينُ الريحِ حَيرانُ
تمضي السنونَ فلا يرتادُهُم مطرٌ
وإن أتى فشحيحٌ فيهِ نُقصانُ
لا يعلمُ الناسُ أن الأمرَ مُشتركٌ
فالكائِناتُ على البطحاءِ مِيزانُ
لولا الحبوبُ التي بالنَّفطِ نجلِبُها
لَما تبقّى لهم من بَهْمِهِمْ ضانُ
الأرضُ سَيَّجَها البِتْرولُ مُرغَمةً
والبحرُ من دونِهِ سُورٌ وحيطانُ
تبدو قصورُهُمُ البيضاءُ خاليةً
على الشواطئِ ما فيهِن سُكّانُ
البحرُ يوشِكُ أن يعلو فيغرقَها
والنبتُ ليسَ يُرى لو جاءَ هتّانُ
لا يُنْكِرُ الناسُ ما دامَ الكفافُ بِهم
لكنَّما يعقبُ النعماءَ نُكرانُ

* * *

إن النعيمَ على الإنسانِ مفسدَةٌ
والفقرُ أسْوَأُ ما يجنيهِ إنسانُ
فإن تجاوزَها القبطانُ تنطَحُنا
أبراجُ مقتٍ كصرحٍ شادَ هامانُ
كأنها حُقنٌ تمتصُّ موردَها
كما يَمُصُّ بنابِ السُّمِّ ثُعبانُ
فأتْبَعَتْ سَبَبًا نَحْوَ الشمالِ بِنا
والعينُ حائِرةٌ والقلبُ حزنانُ
على ديارٍ نَراها تحتَ أعيُنِنا
صارت دمارًا وفي الماضي لها شانُ
تناهشتها سِباعُ الأرضِ ما تركت
من لحمِها الغَضِّ ما تفريهِ أسنانُ
أنهارُها أصبحت سوْداءَ مُنخفِضٌ
منسوبُها، وقصيُّ النخلِ ظمآنُ
يسودُها الحزنُ لا فِكرٌ ولا أملٌ
يُرجى ليُنقِذَ ما شافَتْهُ أعيانُ
ولا يزالُ غروبُ الشمسِ يتبعُنا
حتى تَوارَتْ عنِ الأنظارِ مِيسانُ
ما أوسعَ الأرضَ إن الأرضَ شاسِعةٌ
لنا ومتَّسَعُ رحبٌ وسُلْوانُ
الناسُ ضيَّقتِ الأرزاقَ جاهِلَةً
وكوكَبُ الأرضِ بالخيراتِ مَلآنُ
فأتْبَعَتْ سَبَبًا حتى إذا بَلَغَتْ
قبلَ الأناضولِ ها! هل ثَمَّ عُربانُ؟

* * *

هذي نواعيرُهُم ما عادَ يرفَعُها
دفعُ المياهِ ولا في الأرضِ بُستانُ
ضَلُّوا السَّبيلَ عن الأوطانِ واغْتَرَبوا
حتى أصابَهُمُ بَغيٌ وطُغيانُ
صاروا شتاتًا بأقصى الأرضِ ليس لهم
مما تبقّى من الأعوانِ أعوانُ
عوائِلٌ تؤلِمُ العينينِ رُؤيَتُها
تحتَ الخيامِ قوارِيرُ وصِبيانُ
وعائِلٌ شيَّبَ الأطفالُ عارِضَهُ
لا يهتدي لسبيلٍ فهْوَ هَيْمانُ
وآخرونَ بأسوارِ الدُّجى فُقِدوا
طواهُمُ في ظَلامِ الليلِ كِتمانُ
أحفادُ قومٍ لهم في العزِّ منزلةٌ
دانت لهم في أقاصي الأرضِ بلدانُ
وأسّسوا في بلادِ الغربِ مملكةً
كانت مساكِنُهم حِمصٌ وجِيّانُ
أثارَهُم رجلٌ أفنى بِثَوْرَتِهِ
قومًا وزالت حُكوماتٌ وأوطانُ
تَعاقَبَ الأمرُ بين الناسِ كلِّهِم
حتى تلبَّسَ في الأحداثِ شَيْطانُ
تأثّروا فيهِ حتى ظنَّ أكثَرُهُمْ
بأنهُ يومُ عيدٍ وهْوَ طُوفانُ
نَتائِجٌ يَعجَزُ الراوي تصوُّرَها
أو أن يُبيِّنَها في الشعرِ تِبْيانُ
فأوغلت في سماءِ التُّركِ عابِرةً
وراءَها فوقَ رَكْبِ الغَيمِ دُخّانُ
إن الحياةَ وإن سرَّتكَ زهرَتُها
ستنقضي ولكلِّ الناسِ أزمانُ
لا يستقرُّ دوامُ الحالِ في بلدٍ
لا بُدَّ من فرحٍ تتلوهُ أحزانُ
يا غافلين عن التاريخِ لو سَلَكَتْ
أُمورُكم إنَّكُمْ صُمٌّ وعُميانُ
لا يعلمُ المرءُ ما يُخْفي الزمانُ لهُ
حتى يعودَ، ففي التاريخِ بُرهانُ
فاقرأ لعلَّك تَنْجو من عَواقِبِها
فليسَ يَنفَعُ بعدَ الموتِ إيمانُ

* شاعر كويتي

نَفْحَةٌ مِنْ عِطْرِ أُمِّي

هبة الفقي *

جاوَزْتُ
أنْغامَ الْحُروفِ وسِحْرَها
وأتَيْتُ أقْطِفُ
من عُيونِكِ دُرَّها

في كَفِّكِ اكْتَمَلتْ
سُطورُ قَصيدَتي
وعرَفْتُ باسْمِكِ
كيْفَ أعْبُرُ بَحْرَها

أمّي..
وتُفْتَحُ للسَّعادةِ جَنَّةٌ
لمْ تَسْتَقِمْ لُغَتي
لتَبْلُغَ قَدْرَها

أُمّي..
وتَمْتَدُّ الْأَماني غيْمَةً
تُلْقي على
أبْوابِ روحي خَيْرَها

يا أوَّلَ امرأةٍ
تَعَلَّمَت الليالي
مِنْ سَناها
كيفَ تغْزِلُ فَجْرَها

ما عُدتُ أدْري
كيْفَ تولَدُ فَرْحَتي
أو عُدتُ أحْسبُ
مُذْ رأيتُكِ عُمْرَها

يكْفي فُؤادي
أن يَظَلَّ على يَدَيْكِ
لكيْ يَنالَ
مُنَى الْحَياةِ وبِشْرَها

مازِلْتُ طِفْلَتَكِ التي
ذاقَتْ حَنانَكِ
واسْتَقَتْ
مِنْ نورِ قَلْبِكِ طُهرَها

مُنذُ ارْتَوَتْ
بالْأُغْنياتِ وأيْنَعَتْ
أنْفاسُها..
وضَعَتْ بِحضْنِكِ سِرَّها

وعَدَتْكِ أنْ
يَحْلو الزَّمانُ وتَنْتَشي
كُلُّ الْكَواكِبِ
حينَ تَشْدو شِعْرَها

وتَظَلُّ
تَتْبَعُها النُّجومُ ولا تَرَى
عيْنُ الشُّموسِ
إذا اسْتَفاقَتْ غَيْرَها

مازِلْتُ يا أُمّاهُ
أمْسِكُ ريشَتي
حَتّى أُعيدَ
إلى المَعاني عِطرَها

كُلُّ الْقَصائدِ
لَوْ ذَكَرْتُكِ تَنْحَني
حُبًا وتَنْثُرُ
في رِحابكِ تِبرَها

وأنا أَظَلُّ
على حَياءٍ أنْتَقي
بعْضَ اللغاتِ
لكي أُهَذِّبَ فِكْرَها

لي أُمَّةٌ
في صَدْرِ أُمّي
كُلّما
أقْبَلتُ عَطْشى
أفْرَدَتْ لي صَدْرَها

لي مِلءُ كَفَّيْها
مَدائِنُ لا تَنامُ
تَعُدُّ لي
لوْ جِئتُ جَوْعَى تَمْرَها

لوحة - الأمومة - للتشكيلية المصرية إنجي أفلاطون

أُمّي..
إذا ضاقَتْ دُروبي
أوْ قَسَتْ
أيّامُها..
ولَّيْتُ قَلْبي شَطْرَها

أُلْقي
على أكْتافِها وَجَعي
وأمْلَأُ بالْمَآسي
حينَ أحْزَنُ حِجْرَها

فَتَضُمُّ آلامي..
تُهَدْهِدُ أنَّتي
وتَرُشُّ
فَوْقَ جِراحِ قَلبي صَبْرَها

أُمّي..
مَجَرَّةُ رَحْمَةٍ..
كُلُّ الْمعاجِمِ
في أكُفِّي
لنْ تُكافِئَ أجْرَها

سَأظَلُّ أزْرَعُ
في جَبينِ الشَّمسِ
أُغْنِيةً
تُرَدِّدُ في الْخَلائِقِ ذِكْرَها

وأظَلُّ..
أنْثُرُ تَحْتَ أرْجُلِها الْحَياةَ
وليْتَ أُحْسِنُ
يا إلهي بِرَّها

عُمْري..
ونَزْفُ دَفاتري
والأنْهُرُ الْوَلْهَى بِصَدري
لا تُوَفِّي شُكْرَها

أُمّي وأُمّي
ثُمَّ أُمّي.. وَحْدَها
سَتَظَلُّ
تاجَ الْمُفْرَداتِ وفَخْرَها

* شاعرة مصرية

3 سكيتشات قصصية

محمد خضير *

1 - الخيتعور

لكلّ شيء تكملة، هنا هذا النصّ بلا تكملة (كالمرض المتفرّع بلا نهاية). فشلت العائلة في وضع حدّ لآلام الأب، الزوجة والأبناء والأطباء على حدّ سواء، قبل أن يسحبوه الى مربض «الخيتعور».

في مركز العلاج بالإشعاع، عمدَ أحد المرضى - ينتظر دوره في الدخول لغرفة المعجِّل الخطّي - بفتح ميكرفون هاتفه النقّال كي يعلو نواحُ كمانٍ عازفٍ بلحن ريفي. تحسّس الأبُ النتوء المؤلم أسفل فقرات ظهره، ونقّل نظره في فضاء الصمت المطبق على قاعة المركز الإشعاعي. لكن صوت الكمان أطاح سكون المرضى، وأضاف عقدةً جديدة إلى عُصعُص الأب الناتئ.

وُزِّع المرضى على وجبات، حسب اختيارهم، وفضّل الأب، المصاب بسرطان العظام، الالتحاق بوجبة الصباح الأولى، بين ساعتَي الفجر الرابعة والخامسة، من خريف عامه الثمانين.

يوماً بعد يوم، سيُلحِقه المعجِّل بالدويّبات السارحة في مراعي الأشعّة السينيّة، كائناً سرابيّاً، ذا ذنب، يُخفيه تحت معطفه الواسع. وكان ذَنَب الأب يستطيل تحت تأثير الإشعاع، مع ازدياد خاصية الاختفاء بين الخيتعورات المنقرضة (وهذه خاصيّتي في التخفّي وراء هذه الشخصية العجيبة، في تأليف هذه القطعة السَّرابية. إذ ليس هناك من تعريف لهذا الكائن المتحوّل، أو لكاتب نصّ عن مرضى السرطان، آخر).

قال له طبيب الأورام: «سيمرّ الشعاع خلال فقرات ظهرك بلا ألم. لكنّ شيئاً ما سيحدث، عَرَضاً جانبياً سينشأ؛ لا نستطيع تحديد نوعه أو حجمه. وقد لا يحدث شيء على الإطلاق. المهم أن تتحمّل تأثيرات الشعاع الجانبية. وهي ضئيلة وغير مؤذية. مدّة العلاج محدّدة عادة بإحدى وأربعين جلسة. لا تأبه لما يحدث، إنْ حدثَ شيء ما».

نظر إلى عينَي الطبيب، المظلّلتين بحاجبين كثيفين، بحثاً عن سخريةٍ ما، غالباً ما تواجه المرضى الميؤوس شفاؤهم: «أهناك احتمال، تطوّر منفلت للمرض، صورة لما قد أغدو عليه بعد مدة التعرّض للإشعاع؟».

قال الطبيب الساخر: «لا نعرف تماماً. لم تظهر أعراض مخيفة على أجهزة المراقبة العلاجية، أو في رقوق الرنين المغناطيسيّ، تجعلنا نقطع الجلسات وننفض أيدينا من العلاج الإشعاعي. عِشْ حياتك الاعتيادية من دون اكتراث للمرض، يا عمّي الجليل».

ومَن ذا الذي يغضّ الفكر عن تلك النظرات الغريبة، تحت شعيرات الحاجبين الحيوانيّين؛ ومن هذا الذي يصرف انتباهَه عن الطنين والصريف اللذين يبعثهما جهازُ المعالج الخطيّ وهو يحرث بعيونه الدائرة، كدويّبة سوداء ضخمة، الجسدَ الممدَّد على مسطبة مرتفعة، من دون حراك! يا لخداع الأطباء الناعم!».

أزاحَ الممرّض المعالِج باباً سميكاً، وأدخلَه كهف «الخيتعور»، وأمرَه بصوت مراوغ أن يرقد على وجهه، ويكشف عن أسفل ظهره، ويُسبِل ذراعيه إلى جانبيه، ثم انصرف مسرعاً الى مكانه خارج الكهف، ليحرّك أزرارَ الإشعاع المسلَّط على فقرات الأبّ العجوز، ويراقب إحداثياته على شاشة الحاسوب أمامه. وفيما كان حاسوب الممرّض المعالِج يرسم أشكالاً مبهمة للفقرات السفلى، خارج جدار الكهف الحصين، كان الأب الممدَّد على بطنه، في الداخل، يحسّ بالنموّ الخفيّ لعُصعُصه.

أفضى لولديه، اللذين هُرِعا لمساعدته في ارتداء ملابسه، بهذا الشعور الدامغ، رغم تطمينات الموظف المعالج للولد الكبير: «ذَنَب خيتعور؟ المرضى المسنّون غالباً ما يبالغون ويخرفون بتصوّرات غريبة. لا تصغِ لكلامه». ثم أعقب ملاحظته - الساخرة أيضاً - بضحكة مراوغة كصوته.

يقود الولدان أباهما للبيت، بينما يبالغ الأبُ في إخفاء ذَنَبه، وتدثير جسده بمعطفه. وكان الابن الكبير قد فاقَ المعالجين، ذوي العيون الذئبيّة، مطمئناً أباه قائلاً: «شيء بسيط يا أبي. تستطيع لفّ ذنَبك حول وسطك، كلما استطال، عدّة لفّات».

لم يحدث تغيير فجائيّ على عدد مرضى ساعات الصبح الأولى، ما عدا تسلّل نعيب الكمان

محمد خضير

الذي خرقَ روتين الانتظار، هذا الصباح، وأهاجَ زحفَ الخلايا النشطة بإنتاج الفوضى الصامتة في الأعماق المُسَرطَنة. حانَ دور الرجل الثمانينيّ في توديع الآخرين والتوجّه نحو الغرفة الحصينة، مصحوباً بصوت الكمان، وهيأ أسماعَه لاستقبال دفقات جهاز الإشعاع غير المحسوسة، ومراقبة النموّ الخفيّ لعُصعُصه. وطَدَ في ذاته حالةَ خضوع تام للتحوّل إلى طيفٍ ينهض من تمدّده، والامتزاج بصرير الشعاع المنطلق من المُعجِّل الدائر حول جسده؛ متخلّياً في هذه اللحظة عن أيّ إحساس بشيء سبَقَ دخولَه إلى كهف الخيتعور.

انتظرَ جلساته الإحدى والأربعين، التي ستختتم تحوّلات التمازج والتناوب بين أزيز المعجّل الإشعاعي، ونموّ الذنَب أسفل ظهره، وتململ الخيتعورالسَّرابيّ، غير المحدَّد في شكل أو تعريف، من سُباته التدريجيّ. حفظَ غيباً بيانات الخطة الإشعاعية على شاشة تلفازية معلّقة فوق رأسه (خطّة المحاكاة الافتراضية لمكان الورم وحجمه وتشعيعه) حتى أصبحت هي خطّة حياته التي غيّرَ الخيتعور مجرى أصواتها ومداها، وإزاحتَها الفقرات المُسرطَنة نحو صندوق القمامة الكبير، الرابض على باب جناح مركز العلاج الإشعاعي. وكما حفظَ بيانات الخطّة الخاصة بمرضه، استوعبَ الأب النموَّ البطيء لذَنبه، الذي أخذَ في لفّه حول وسطه، تحت صوف معطفه.

لم يُشرِك أحداً (سواي) في خطط علاجه الموازية مع تنامي العُصعُص الذنَبيّ.. والآن يذكّرني بعزف الكمان، في نقّاله، بعد أن شاع بوساطة الـ «واي فاي» على نقّالات عشراتٍ من المرضى، الذين يشاركونه وجبةَ الإشعاع الصباحية. (هذا ما أردتُ نقلَه لكم، نعيبَ الكمان، رحلةَ الإياب من مرتع الخيتعورات، واستحالاتهم غير المعرَّفة بشكل أو حجم أو مخطوط.. قبل رميها مع بيانات الحواسيب المعالِجة في صندوق القمامة الكبير بباب مركز العلاج الإشعاعيّ).

عُمِّر الأبُ الثمانينيّ أكثر من عشْر سنواتٍ أخرى،

بعد انتهاء جلسات العلاج الإحدى والأربعين، وطوال مدّة نموّ ذنَبه، كان يشعر بسعادة غامرة. فقد كان تحوّلُه إلى شكلٍ سرابيّ، غايةَ ما يرتجيه أخيراً.

2 - تكبيرة العيد

أصغى فؤاد - الاسمُ الحائر كصاحبه بين الأسماء - صباحَ عيد الأضحى، وشحذَ جوارحَه - الأكثر رهافةً منها - كي يميّز خفقانَ أجنحة جبرائيل بين الأصوات الجماعيّة لتكبيرة صلاة العيد، تصدر من الجامع القريب لبيته، كعادة كلّ عام، في التوقيت المؤشّر على تقويم اليوم الأضحويّ المنتظَر.

لم تطرق سمعَه نأمةُ جناح، بل ولا رجعُ صوتٍ ذائب في لجّة الصمت العميق لفؤاده. استشار زوجتَه، التي هيّأت له ثوبَ العيد النظيف، فوافقته على ظنّه!

ما هذا البياض الداهم بالخوف! هل تخلّى عنه ملاكُه المجنّح باليقين؟ أأخطأته التكبيرةُ المهيبة واعتكفَتْ في مسجد بعيد، بُعد السماءِ عن الأرض؟ هل عُزِل هذا الرفيفُ المكتوم في طيّات النّفْس العطشى، ولم يتبرّك بلقاء الجوقة الملائكية؟

وقف فؤاد، ينسدل ثوبُه الأبيض حتى قدميه، بنعليهما الجلديّين، في فناء الدار الأمامي، وغطسَ في توجّسه وارتقابه دعوةَ السماء. أقدِمي أيّتها الأصوات المجروحة!

خطا خطوات، وفتح باب البيت وانحدر على سلالم الشارع المقفر، وانغمر بصمت الأبواب المقفَلة بامتداد البيوت المجاورة لبيته. كبّري أيتها الأنفس المقفَلة على صمتها!

باب المسجد مُقفَل أيضاً، وسعفُ نخلته مُسدَل كسيوف مُغمَدة - أيّتها الجروح انفتحي على لُغتك - انهضي وعانقي الدعاء: لبّيك اللهمّ لبّيك.

تنهّداتٌ محبوسة، وهفهفاتٌ تجرح الصباحَ بندائها الخافق: اللّه أكبر، اللّه أكبر، اللّه أكبر. لا إله إلا اللّه. اللّه أكبر، اللّه أكبر، وللّه الحمد.

نداءٌ صاعد، لكنّه بعيد، بعيد، كخفقة فؤادٍ وحيد، لا شريكَ له، بين الأفئدة الهاوية في لجّة الصمت.

اللّه أكبر. اللّه أكبر. الصدى يتراجع ويتلاشى ما أن يبلغ سمعَه، كريشٍ متناثر. ما أصغر الكون يا إلهي!

تراءى له شكلُ سائر باتجاهه، عجلاتٌ تحمل الخفقةَ المتلاطمة نفسَها، تتقدّم نحوه. توقّفت بجواره سيّارة، من موديلات الأعوام السابقة، ودعاه سائقُها الغريب للركوب بجانبه.

- ألستَ ذاهباً للصلاة؟ اقفز إلى جانبي. دعني أعرف اسمك أوّلاً.

- أنا فؤاد. ولستُ مخطئاً طريقي. لكنّي افتقدتُ تكبيرةَ العيد. ألسنا في صباح عيد الأضحى؟

- نعم. لقد بكّرتَ قليلاً. والناس نيام. لم يصحوا من سهرتهم.. هههه... هههه.

قهقه السائق بانتشاء، وألكَنَ متابعاً: لم يفِقْ أحد من سكرته بعدُ.

- صوت جبرائيل لا ينام أبداً.

- آه. ملاكنا المنشغل بجناحيه. لقد سبقته بفراسخ. أنا أملك سيارة!

- أأنت غريب عن هذه الناحية؟ لا أفهم لغتَك تماماً.

- ماذا؟ ومَن تراه يفهم لغة هذه الحياة المتهالكة؟

- أجل. الصمت مطبِق... لا أسمع تكبيرة العيد.

- إنهم يكبّرون، لكن الأصوات بعيدة. انسحبت كلّها إلى ما وراء التلّة.

- لماذا؟ أحدثَ شيء؟ أتصدّعت الأرض بزلزال؟ لماذا انسحب الناس إلى هناك؟

- إلى أبعد ما تتصوّر، أيّها المؤمن!

- حقّاً؟ لا أسمع صوتاً. ماذا حدث؟

- لا شيء غريب. لا تعجب لما ترى. لم نقترب بعدُ من التلة.

- ما موديل سيارتك؟ من أين أتيت بهذه العجلة الغريبة؟

- ألم تلاحظ أنها بجناحيّين خلفيّين أيضاً؟ موديل من السنوات الخوالي.

- صناعة أي سنة؟ لم أرَ ما يشبهها في هذه الطريق.

- إنها تجميع من سيّارات ملكيّة وأخرى من صناعات أوّل القرن الماضي. سيارة كاديلاك موديل 1948.

- وأنت يا صاحبي سائقٌ غريب!

- لكَ أن تخمّن هويّتي وعمري. أنا مركّب أيضاً من سوّاق الزمن الماضي. الماضي البعيد جداً.

- أحسبُك سائقاً ملكياً قديماً، بلُكنة أجنبية. أنت جزء من جسد هذ السيارة. ألستَ كذلك؟

- مع هذا، ما أبعدنا عن حسابات هذا العالم المنهار. خمّن. خمّن فقط، أيّها المؤمن!

- أنسير نحن أم نطير؟ لا أسمع تكبيراً. هل انسحب البشر كلّهم وراء التلّة؟

- سترى. شدّ حزامَك جيداً يا صديقي.

لحظات، وكانا على مشارف منحدر التلّة، وقد أسفرَ واديها عن جمع غفير، بملابس بيض؛ مدّ بشريّ يتراصّ بلا حدود أسفل نظريهما.

بدرجات خافتة من الترديد، التقط فؤاد أجزاءً من تكبيرة العيد، تتماوج كجناح أبيض يغطّي الرؤوس، تتناغم وتتصاعد نحوه بصوت واحد، صوت التلبية والتهجّد والشُكران.

3 - ذبابة سارتر

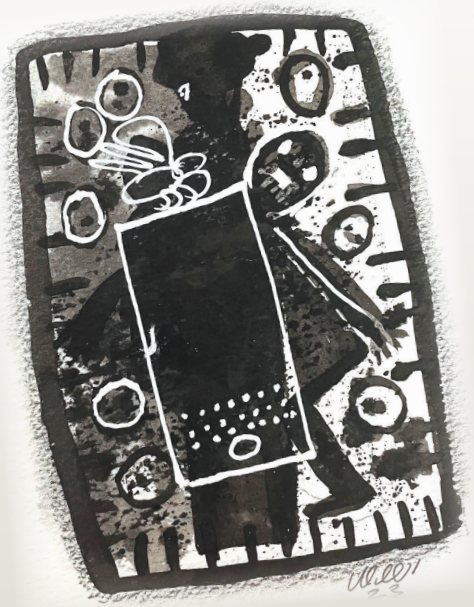

ذبابةٌ لحوح تحوم حول شاشة الموبايل الساطعة.

لم يُدرِك سارتر هذه المرحلة التكنولوجية، المولِّدة للضجر والغثيان. لكن كلّ ما نتلقّاه ونبثّه ونعلّق عليه عبر الشاشة الصغيرة آتٍ من جهة الوجود الكونكريتية الشاسعة، المساحة التي يربض قبرُ سارتر في جانب منها. هناك ترقد اللمحات تحت السطور المواراة بالتراب، وتصمت الشاشات.

الأسلوب باعث على الغثيان، بإيمان سارتر: أن تكون لديك طريقة في الحوار مع أشخاص متوارين في الشبكة مثلاً (أو غائبين تحت التراب).. أن تختار الألفاظ بعناية لمخاطبة أشخاص تتعرّف إليهم للمرة الأولى (وكان عليك أن ترافقهم في زمن ماضٍ بعيد).

تلجأ الى قصص نجيب محفوظ لتخفيف الأثر العاطفي، تستعين بأيقونة هيروغليفية لتغميض شفراتك، مومياء تظنّها ألهمَتْ محفوظاً حوارَ الحرافيش الساخر، وتدخّر الحوارَ لأسلوبك القصصيّ (على هذا الجانب البعيد من حارة الحرافيش).

تطردُ الذبابة، فتعود ملحاحة. خاطرٌ لا يزاول إلّا ظلّه في شاشة الأحلام؛ وما أدناها.

تكون/ أنت/ الذبابة، في حلم الشاشة.

يكون/ هو/ سارتر أو محفوظ، في طرف الحوار المذخور.

نكون هم/ الحرافيش، في باريس أو القاهرة!

* خصّ الأديب العراقي محمد خضير مجلة «البيان» بهذه النصوص القصصية للنشر، وهو صاحب التجربة الطويلة الفريدة من نوعها على مستوى المشهد السردي العربي، واعتنى بها الفنان التشكيلي الكويتي عبدالوهاب العوضي للتعبير بلوحاته عن عوالمها البديلة وواقعها الافتراضي الباعث للدهشة والتفكير.

أهربُ من ظِلّي

«طقوس ظل» للتشكيلي العراقي هاني دلة

موسى أبو ريّاش *

خرج مسرعًا من بيته، يتلفَّت حوله بذُعر. أشار إلى سيّارة أجرة، ركب في المقعد الخلفيّ، وراء السّائق مباشرة، على غير عادة الرُّكّاب العرب الذّكور الذين يجلسون في المقعد الأماميّ، ممّا أثار استغراب السّائق وقلقه، وأصابه الخوف عندما أمره بالتَّحرُّك فورًا وبسرعة. ولما سأله عن وجهته، ردَّ عليه: لا يهمّ، ابتعد من هنا، وسأوقفك في المكان الذي يناسبني.

ضرب السّائق أخماسًا بأسداس، فالرّجل مجنون بلا شكّ، على الرّغم من وسامته ولباسه الأنيق، وربما يكون لصًا يهرب، أو قاتلًا يفرُّ من مسرح جريمته، أو زوجًا يبتعد ليستريح، وأخذ يسترق النَّظر إليه؛ ليتكهَّن بدخيلته وحقيقة أمره، فلمّا انتبه له، أخرج محفظته، وتناول منها أوراقًا ماليّة كثيرة، وأراها للسَّائق ليطمئنَّ على أجرته، فمعه من المال الكثير الكثير.

أخذ يتلفّت حوله في السّيّارة، يتفحَّص المقاعد الأماميّة والخلفيّة، وينظر في الطريق أمام السيارة وخلفها، وعن يمينها وعن شمالها، شعر بالطُّمأنينة، تنهَّد براحة، تنفّس بعمق: لا شيء، لا أحد، فقد نجوت من ظلّي الذي أزعجني وأتعبني، أنا لا أحبُّ الظّلال ولا العتمة، أشعر أنَّ ظلّي يتجسَّس عليّ، يعدُّ عليّ أنفاسي، يراقبني، يتبعني في كل مكان، حتى في غرفة النَّوم لا يفارقني، وإنْ أطفأتُ النُّور، أشعر أنَّه قابع في مكان ما ينتظر الفرصة لينقضَّ عليّ ويقتلني، فأضيء النُّور لأراه وأكون منه على حذَر. لا أستطيع النَّوم خوفًا من غدره، فالظّلال لا أمان لها، وتكمن قوَّتها في قدرتها على التَّشكل والتَّقمُّص، تشابهنا لتخدعنا، لتوهمنا أنّها نحن، ولكنّها لا يمكن أنْ تكون كذلك، فأنا أنا، والظّلُّ ظلٌّ، والظّلُّ عدوٌّ.

سأهرب من ظلّي، سأبتعد عنه، سأقطع حبل الوصل بيني وبينه، وأظنُّني نجحت؛ فلا أثر له حتى الآن، ولا أخاله يستطيع اللّحاق بي، فليذهب إلى الجحيم. أنا لا أؤمن أنَّ الظّلَّ قدر، بل أراه عقوبة، ابتلاء، امتحاناً للمرء، محاولة لإشغاله وبلبلته، بل أشكُّ أحيانًا في أنَّ وراء الظلال ما وراءها؛ فربما من خلالها تنتشر الأمراض، وتُزرع الوساوس والشُّكوك، وتُثار الفتن والقلاقل، ومن المؤكد أنّها تقوم بالتَّجسّس لجهات تتربَّص بنا، وتحصي كل خطواتنا، بل وأفكارنا ومشاعرنا وأحلامنا ومخاوفنا.

ينظر السائق في المرآة، ثم ينادي: يا أخ، ألم نصل بعد؟! هل أستمرُّ، أم لك وجهة معيَّنة؟! ينظر إليه بغضب أنْ قطع عليه تأمّلاته وحواره الدّاخليّ، وأمره أن يستمرَّ إلى حيث يريد، وألّا يقاطعه ثانية، وسيتوقَّف عندما يطلب منه ذلك. هزَّ السائق رأسه مستسلمًا، وهو يأمل في داخله أن ينتهي هذا الكابوس على خير.

قبل أيام، أوقفني رجل غاضبًا، وقال بحدّة: أنت، لِمَ دعست على ظلي؟ هذه إهانة لا تُغتفر؛ لأنّ مَن يدعس على ظلّي كأنَّه يدعس عليَّ؟ هل أنت أعمى أم تقصد هذا العمل الأخرق؟! تأسَّفت له، وأكدت أنني أمشي ساهمًا مهمومًا ولم أنتبه لجناب ظلّه الكريم، وطلبت منه السَّماح وأنني لا أقصد إهانته، فليس بيني وبينه أيّ عداوة أو حتى معرفة سابقة. هدأ غضب الرَّجل، ولما شعر أنَّني صادق، قال: قد عفوت عنك، اذهب إلى حال سبيلك، وانتبه لخطواتك، فقد نجوت منّي، وربما لا تنجو من غيري.

غريب أمر هذا الرَّجل ومَنْ على شاكلته؛ فبدلًا من أنْ يشكرني، يغضب ويهدّدني. ما شأنه بظلّه، وهل يملك ظلّه أصلًا؟ وهل يستطيع أنْ يتحكّم به؟ يا رجل ظلّك عدوّك، ظلّك يسخر منك، يمدُّ لك لسانه وأنت لا تراه؛ لأنّك أعمى البصيرة، تحسّبه منك، ولكنّه غيرك؛ ألا تراه يتشكّل كما يريد، يطول، يقصُر، ينحف، يتضخّم، يتكوّر، يختفي، يظهر، يتسلّق الجدران، ينقسم، يتعدّد، يستقيم، ينحرف.. لو كان حَسَن النّيّة تجاهك لكان ثابتًا لا يتغيّر، ولكنّه بألف قناع وقناع، وألف شكل وشكل!

وصلت السيارة شارعًا مرتفعًا يشرف على المدينة، فطلب من السائق التوقّف. خرج من السيارة، سار خطوات وتلفّت حوله، فانتفض غضبًا وهو يرى ظلّه متشبثًا به. ناداه السّائق: يا أخ، يا أخ، الأجرة لو سمحت. أخرج مسدّسه، وعاد إلى السائق تقدح عيناه شررًا، وصوَّبه نحوه: اسمع، لقد ركبت معك هاربًا من ظلي، ولكنّي أراك قد أركبته معك دون إذن مني، فاطلب الأجرة منه لا منّي، ولا أستبعد أن تكون متآمرًا معه عليّ، فانجُ بنفسك وإلّا...

تأتأ السّائق: ولكن، ولكن،...

اقترب من النّافذة أكثر وبغضب، فدعس السّائق دوّاسة البنزين وفرَّ هاربًا بجلده. عاد إلى ظلّه يركله بقدمه، يضربه بعنف، ثمَّ صوَّب مسدّسه إليه، وأطلق عليه ثلاث رصاصات، فثار غبار، والتجأ إلى ظلّ عمارة قريبة، ينتظر سيارة أجرة تعيده إلى بيته.

* قاص وناقد أردني

التقاطات ليلى العثمان في «قصيرة جداً» لا يراها سواها

الحكاية «الومضة».. دهشة الاكتشافات الأولى

نجاح إبراهيم*

تدعوك الروائية الكويتية ليلى العثمان إلى زجر همومك وغثيانك من السّفر، باصطحاب رفيقٍ تستفيد منه، تشتمّ عبق حضوره بين يديك، يقصّ عليك حكايا أناس لا تعرفهم، ولكنك تستحضرهم في مخيلتك، فتلامس أحلامهم وجراحهم، وتعيش حيواتهم، لتكتشف كم أنّ الحياة مليئة بالغريب والمدهش.

دعوة خفيفة عبر قصصها القصيرة جداً، إلّا أنها ممتلئة كحبّة عنب ناضجة تضعها في فمك، فتطفئ ظمأك وإن كان إلى حين، لكن لن تنسى حلاوتها أبداً.

دعوة إلى نوع أدبيٍّ من السّرد، خرج من رحم القصة القصيرة، وحمل مجمل مورثاتها، بيد أنه أشد اختزالاً وذكاء، إذ يعتمد على الإشارة الرّمزية مع إتمامه كمال المعنى والصورة، يجيئك بعبارة ضيقة، لكنّه يتّسع لرؤية لا حدّ لها، حتى أنّ المصفقين له اختصروا اسمه تضامناً معه، إلى أحرف قليلة تقرأها بسرعة «ق.ق.ج»، ليضيء كما الومضة الشعرية تحملُ الكثير من الكلام ومعناه في إيجاز شديد.

حين تقرأ قصصها، تستغني بها عن مجموعات قصصية عديدة، لأنك تأخذ الزبدة المطلوبة من خلال جمل قليلة مؤثرة وموحية.

تحت عنوان «خسارة»، كتبت ليلى العثمان: «قرّر أن يقرأ مئة كتاب في يوم واحد، في اليوم التالي اكتشف أنه فقد حاسة الذوق». هي الغاية لأن تقرأ كتاباً مفيداً يكون عوناً على المروءة، وأنساً في الوحدة، به تعمرُ القلوب الواهية وتنفذ الأبصار الكلية، كما قال علي بن أبي طالب عن فنون الأدب.

في هذه الومضات القصصية، تقبضُ الكاتبة على اللقطة التي لا يمكن لعين أخرى أن تراها، فتفجّرها في ومضة لها من الإيحاء الكثير، ومن الضوء ما يبهر، ومن الألم ما يوخز، تلتقطها بعين ناقدة، لتشير عبر جمل قليلة إلى الأزمة التي يجد القارئ الذكي الحلّ لها، وإن كان ليس مطلوباً من الكاتب أن يقدّم حلولاً، بيد أن عباراتها تشي بذلك:

«قبل أن يدخل باب الطائرة، التفت ليودّع المدينة التي غرس بها ألف نخلة، وجد كلّ المدينة تتحوّل إلى غابة من الشوك».

ربما يتساءلُ القارئ: مَن الذي تحوّل وغدر بالآخر؟ المدينة أم الرّجل الذي مدّ أيادٍ بيضاء لها ونشر اخضراراً لا يُقتلع؟ ترى لِمَ ارتأى إلى زرع النخل في أرض وطنه، وشجرة النخيل هوية العربيّ؟ أليتجذر؟ ما الذي دفعه إذاً إلى الرّحيل؟!

سؤال مليء بالألم، يحتاج جواباً أكثر إيلاماً.

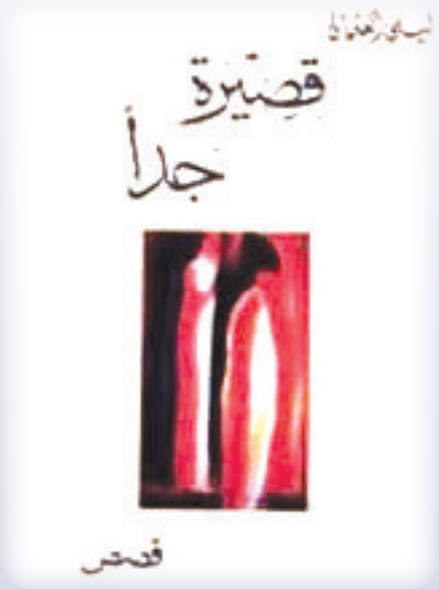

هذه القصّة لها احتمالات عدة، كرؤاها المتعدّدة وتأويلاتها، تشبه قصة الديناصور المؤلفة من ست كلمات، للكاتب الغواتيمالي، الذي وقف عندها كبار الأدباء في العالم، لما تنطوي عليه من رموز ومعانٍ وغرابة.

ولا يغيب عن المتلقي حضور المرأة في ومضات الكاتبة، فتارة يجدها حالمة، مندهشة، وتارة متعبة ومقهورة، وأخرى صابرة ومُضحية، وفي قصة ضحية، قدمتها عبر لقطات تسردُ أحوال المرأة العربية المختلفة:

«فتح كراستها، قرأ بوحها، عاصفة توسّلها للحبيب أن يتزوّجها، في ستر الليل كانت سكينه تغوص في صدرها، أمام المحقق اعترف: غسلتُ عاري. قدّم له المحقق تقرير الطبيب: القتيلة عذراء».

فأيّ جرح تفتح هذه الأقصوصة في مجتمعنا العربي الذي قتل عذراواته، لمجرد حبّ عفيف طرق قلوبهن، فرغبن في رباط مقدّس، بيد أنّ يد التخلف كانت أسرع من تحقيق الحلم، وأسرع إلى شرب كؤوس الندم.

ثمّة امرأة مكبّلة ومقيدة في المجموعة حتى لتضيق من طبقات ملابسها الثقيلة على جسدها، إنها امرأة مرجومة لهذا:

«وقفت أمام المرآة، تأمّلت صورتها، ثم نزعت غطاء رأسها، قفازيها، ثوبها الطويل، تمنّت لو تصبح قطة تسيرُ في الشارع حرّة».

ما الذي يدفع المرأة العربية لأن تكون قطة مشرّدة في الشارع، على أن تكون في بيتها؟ ما الذي جعل ليلى العثمان تتمنى أن تكون بطلتها في قصة «أمنية» سمكة حين خلعت ملابسها ودخلت «البانيو»، وبعد أن همّت لترتدي ثيابها فوجئت أنها لا تلائم حجمها، كانت قد تحولت قزماً صغيراً، ومع ذلك تبقيها ساكنة «تلهف لأن يورق صمته، بعد عشر سنوات صارحها، ابتعدت عنه، كانت لهفتها قد انطفأت، وفقد قلبها حماسه للحبّ".

أكان لزاماً عليها أن تنتظر صخراً لينطق؟ وحين نطق لم تعد بحاجة إلى حبّ كهذا! ومع ذلك فالرّجل له همومه، وأحلامه، ورغائبه، في قصصها القصيرة جداً، فحين: «فقأ عين الشمس، شوهد في اليوم التالي يتوكأ على عصا..»، أهذا جزاء من مدّ عنقه إلى أعلى، وأراد فعل المستحيل؟! ومع ذلك من يبدأ من الثرى، فسينال ما يرغب، حكمة العثمان الدافئة، الباعثة على الأمل. «قطف زهرة فتجرّحت كفه، زرعت كفّه بذرة، فعاش في بستان..».

مع أنّها كتبت هذه الومضة بدهشة الاكتشافات الأولى، صادقة وعفوية، لكنها مفعمة بالحكمة والخلاصة، وجارحة ذات الوقت كما تُجرح الكفّ في لحظة قبضٍ على الجمال.

وما هو لافت أيضاً تميّز الومضات بنفسٍ ساخر، لاذع، وبمفارقة مُدهشة، وهذه ميزة للكاتبة، إذ لا يستطيع أيّ كاتب أن يشيع في نصّه، ومن ثمّ في نفس القارئ، حيوية وجرأة واندهاشاً، في الوقت الذي يقول فيه ما يريدُ، خاصة وأنّ القصة القصيرة جداً تعتمد على التكثيف في كلّ شيء.

«عصفت به الغيرة، فسمل عينيها، قطع أنفها، ثقب طبلتَي أذنيها، خلع قلبها، نام بجانبها مطمئناً، في الصباح وجدوا أصابعها تلتف حول عنقه».

قد يظنّ البعض أنّ هذا الجنس من الأدب سهل، كما قالت لي مرّة إحدى الكاتبات بأنها قادرة على كتابة العشرات من هذه القصص في اليوم الواحد، فهززتُ رأسي، ورفعتُ حاجبيّ باستغراب، وأنا لا أستسيغ قصصها القصيرة المباشرة، فكيف بقصة الومضة المختزلة؟

من هذا المنطلق يعتقدُ الكتاب أنه يمكن كتابته بسهولة وسرعة، إلا أنه فنٌ وعرٌ له مقومات لا تتوافر لدى أيّ كاتب سوى المبدع الذي يصبّ إبداعه في أيّ قالب كان، مبدع يزخر بالموهبة والثقافة والخبرة، والكاتبة ليلى العثمان استطاعت أن تكون تلك المبدعة التي قدّمت قصصها القصيرة جداً، الحارقة، اللاذعة، ذات الوهج المؤلم والمدهش.

* قاصة وشاعرة سورية

علي المسعودي وقراءة في كتاب «مذكرات طالب حلم»

د. نزار خليل العاني

يوم نشَرَت الأديبة السورية غادة السمان رسائل المناضل والأديب غسان كنفاني إليها، حدثت ضجة في الساحة الأدبية العربية. يومها، دافعتُ عنها عَبْرَ زاويتي الأسبوعية في جريدة القبس الكويتية، وكان عنوانها «النظر من ثقب الباب».

نحن العرب نحب التلصُّص على الآخرين من «ثقب الباب»، وهذا المجاز عندي هو المرادف لعَين القارئ في النظر إلى أدب السيرة الذاتية.

وأنا متلصص من الدرجة الأولى منذ أن قرأت «اعترافات جان جاك روسو» وأنا في الرابعة عشرة من العمر، والتي أعتبرها نموذجاً خالداً لأدب السيرة.

وبعد ذلك أدمنت قراءة هذا النوع من الأدب، أي السيرة أو المذكرات، لأنها باعتقادي جلسة اعتراف بالتداعي الحر من قِبَل المؤلف، وفق نظرية سيجموند فرويد في التحليل النفسي. وفي المقابل تلبّي غريزة الفضول عند القارئ، وفق نظرية التلصص عَبْرَ «ثقب الباب».

وقفة عند العنوان والغلاف

هناك جُمَل دارجة مأثورة ومسبوكة في اللغة العربية نستخدمها بشكل عفوي؛ (لكل مقام مقال، والصديق وقت الضيق، ربّ أخ لك لم تلده أمك....)، وجملة «طالب علم» من هذه الدوارج، ودلالتها صريحة وواضحة.

الشاعر علي المسعودي قام بعملية قلب واستبدال للجملة، فغدت عنده «طالب حلم»، ولم يكن السجع هو المقصود أو المحاكاة، إنّما المقصود هو توسيع قوس ودلالة الجملة ومعناها لتكون على لسان الكاتب: «أريد للعلم أن يتطابق مع مستوى الحلم عندي»، وأن يصبح العلم مكتمل الأركان بالمهارة والسمو، مثل الطفل المرسوم على غلاف الكتاب، والممسك بخيط طائرته الورقية، وسقف أحلامه أن تبقى مرفرفة في الأعالي.

ويتماهى رسم غلاف كتاب مذكرات المسعودي مع رسم غلاف رواية خالد حسيني «عدّاء الطائرة الورقية» في نسختها العربية، مع الإشارة إلى أن رواية الأفغاني الأميركي بمنزلة مذكرات أيضاً.

لا مزية إذن لعقدة اختلاس النظر من ثقب الباب في قراءتنا لمذكرات المسعودي؛ إذ إن الرجل بوساطة اختيار العنوان، ترك لنا مفتاح باب بيته المتداعي في البادية على عتبة الكتاب، وكأنّ الكاتب يريد أن يقول لنا: ستعرفون أينَ وكيفَ درستُ وتعلمتُ في الكويت، وما هي الصعوبات والهفوات التربوية التي واجهتها في تعليمي، من المرحلة الابتدائية، وصولاً إلى نهاية المرحلة الجامعية، ولا شيء غير هذا مما تذكره مذكرات الآخرين من أسرار وخصوصيات!

مقارنة خطوط المذكرات مع غيرها

تصادف أن كتاب المسعودي وصلني من الكويت إلى دمشق بالبريد حين كنت أقرأ كتاب الأديب المعروف أحمد الجندي الشهير بكنيته «أبو حيان»، وعنوانها «لهو الأيام... مذكرات سنوات المتعة والطرب والثقافة» (2)، فخطر لي أن أقارن بينهما.

من الواضح أن عنوانَي الكتابين يفصحان تماماً عن الموضوع.

والخطاب يُفهم من عنوانه، كما يقول المثل!

إن مذكرات المسعودي تربوية ثقافية، وتتسرب إلى صفحاتها ظلال عائلية اجتماعية أخلاقية، وبعض معالم التوجيه المدرسي والتعليم وتاريخه في سبعينيات القرن الماضي في الكويت، وهي مذكرات جادة وهادفة ورصينة.

في حين تنحو مذكرات الجندي نحو وقائع اللهو والسخرية والمتعة والطرب بالتفصيلات والأسماء والأماكن، وخصوصاً لأنّ باع كاتبها في الفكاهة شديد الحضور.

وبسبب هذا الاختلاف يتباين حجم المذكرات عند الكاتبين، إذ يبلغ عدد الكلمات في حالة كتاب مذكرات المسعودي حوالي 30 ألف كلمة، لأنه كتاب مختزل يركز على الجانب التربوي التعليمي المدرسي وما يتعلق به من وقائع. في حين يبلغ عدد الكلمات في حالة كتاب الجندي حوالي 280 ألفاً، لأنّ الكاتب تطرّق لكل ما خطر على باله من أحداث اجتماعية وسياسية ومعيشية وصحافية، خلال مسيرته المهنية والإدارية والأدبية والحياتية الطويلة.

الأمر الذي يكشف دواخل شخصية راوي المذكرات في الحالتين.

هنا يبدو المسعودي من جيل الشباب المؤمن بالحداثة، والمقتصد في رواية الأهم من سيرة حياته، لأنّ العصر لم يعد يسمح بمتابعة القرّاء للمُطوّلات، في عصر «تويتر» (إكس حالياً) وكتابة التغريدات. وشخصية المسعودي رافضة لمنطق ألفية ابن مالك وألفية ابن معطي وألفية السيوطي وبحورها المتسعة المتلاطمة، لذا فقد آثر أن يختار منطق الساقية العذبة الماء في سرد مذكراته.

أما الأديب أحمد الجندي فهو من الجيل الذي تتلمذنا على عطاءاتهم الموسوعية الشاملة، والتي تستقصي حتى الشأن العابر، التزاماً بمنطق الحكواتي الذي يروي للتسلية. وللتدليل على صحة كلامي، يذكر الكاتب في مجلده الضخم ثلاث كلمات فقط في فصل الرحلات والسياحة، عن لقائي به في مقهى فوكيه في باريس، حين كنت أتابع دراستي. ومن حُسن حظي أن المسعودي الوفي لماضيه، يذكر اسمي أيضاً في خاتمة كتابه، ضمن قائمة الذين كتبوا عن أدبه، حيث كتبت دراسة عن قصصه عام 2001.

مسرد بمحاور كتاب المذكرات

الكتاب من سبعة فصول، وتحمل عناوين مستقاة من ثقافة الكاتب ومما يحفظ من شعر المتنبي، باجتزاء صدر البيت أو عجُزه، وتشي بأفكار الفصل: (غريب

الوجه واليد واللسان، وتلك خديعة الطبع اللئيم، تعبت في مرادها الأجسام، وتأتي على قدر الكرام المكارم...).

كلمتان افتتاحيتان في الصفحتين 5 و7 يبدأ بهما المسعودي كتابه؛ الأولى، الشعر الذي يمدح ربيع الماضي الذي انقلب وزال، للرافعي. والثانية، تمدح مدارس الماضي وتهجو ما آلت إليه، لعلي الطنطاوي.

عنوان الكتاب، كما سبق وأشرت في تحليلي لدلالاته، وما جاء في الكلمتين الافتتاحيتين، لا يُبقيان سرّاً غامضاً في المذكرات!

مدماك المذكرات: «النوستالجيا»، وسحر «الحنين إلى الماضي» وتعلّق العرب به لا يحتاج إلى برهان. قد نرفض العثرات والهفوات والأخطاء التي اعترضتنا في الماضي، لكننا نبقى أوفياء له، ويغمرنا الحب العميق لحيثيات ما انطوى منه وتفصيلاته.

يكتب المسعودي: «الكتابة في أجمل حالاتها هي أن تعيش حياتك مرة أخرى.. فتتدارك ما لم تعشه جيداً، وما لم تعطه حقّه من الاهتمام.. ليستوفي نصيبه من الحنين والأنين والحسرة والفرح المؤجل أو المسترجع» (ص 12).

شاعر غير متصالح مع طفولته «أستعيد الطفولة.. وأسترجع حقي في أشياء لم أحصل على حقي منها.. بكيت من الداخل من دون أن يسمعني أحد.. غاب الطفل في رعب الضياع والتشرد» (ص 15، 20، 25). مسقط رأسه في الصحراء التي لا تمنح قاطنيها شهادة ميلاد «لا أريد لأحد أن يعرف أنني أسكن في الصحراء» (ص 102).

تتعثر حياته الدراسية ويلفّها التنقل والتناقض والصعوبات «أذاكر على ضوء سراج يُضاء بفتيلة منقوعة بالكيروسين.. طفلاً يشعر بالبرد والغربة.. منظر العصا جعل جسدي يرتجف.. (ص 24، 35، 49). بيته من صفيح «ذهبت إلى بيتنا، فوجدت جرافة البلدية قد سوّته بالأرض.. لأن الدولة قررت أن تنهي مشكلة مدن الصفيح. لم يشعر موظفو البلدية، وهم يجرفون البيت، بأن الطفل هو الذي كان يتهدّم..!!» (ص 84).

وبين الشخصي والذاتي، وبين العام والموضوعي، نطلّ مع المسعودي على صورة وهيئة المدرسة الكويتية منذ السبعينيات، وجميع مراحل التعليم، ويمكن اختزال جو المذكرات التربوية بما يلي:

- العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، المناهج، نظام دوام الفترة الثانية، الكسالى والمتميزون، مؤهلات المدرسين،

البنى التحتية والخدمات، الفروق الاجتماعية بين التلاميذ،

الحوافز والعقوبات، الغش في الامتحانات بوساطة البراشيم، القسر واختيار التخصص، التقليد والتجديد في منظومة التعليم، تدريس ذوي الاحتياجات الخاصة، التعليم المفتوح، الأثر السيىء لعامل الملل بسبب سلوك الأستاذ أو جفاف المادة (تدريس الآلات الموسيقية الغربية الحديثة لطالب لم يسمع سوى الربابة)، (3).

ومسيرة الراوي المسعودي ومعايشته لهذه الشؤون تنبئ عن شغف متأصل ورغبة مستمرة في التعلّم: «سأظل في قاعات التعلّم إلى آخر العمر» (ص 155). ومن الجائز اعتبار هذه المذكرات التي تنتقد النمطية المُهلكة في التعليم، خطوة صغيرة لإعادة النظر بالشهادات وما يحيط بها من شكوك أو تزوير وتلفيق الأبحاث، والعمل الجاد لتصحيح الأوضاع الخاطئة والملتبسة.

خاتمة

كتاب يُقرأ في ليلة واحدة، ويتجول بنا في شِعاب الماضي القريب، نتقرّى بها ظروف شاعر وإعلامي مثقف، ونتلمس من خلال مسيرته حياة شريحة اجتماعية عاشت في مدن الصفيح، وصدمة انتقالها إلى مدن الأسمنت. ومادة المذكرات تصلح لأن تكون رواية، وقد راودت هذه الفكرة خيال الكاتب، واعترف بينه وبين نفسه: «سأكتبها رواية! لا، بل أجعلها سيرة! اكتبها ما تحب، لا يهم» (ص 16)، وهكذا صار، لأن الكتاب يروي ويسرد لنا كيف نزاوج بين طلب العلم وممارسة الحلم، لكتابة نص أدبي مشوق بلغة جزلة تحمل فكراً ووعياً تربوياً ناضجاً.

في الكويت، تسرّبت سيرة حياة الروائي طالب الرفاعي إلى نسيج ومتون نصوصه الروائية. في حين اختارت الأديبة ليلى العثمان الطريق الأقصَر، وكتبت سيرتها في كتاب على شكل مقالات قصيرة، أو زوايا صحافية، تنتظم في إطار وقائع حياتها، وعنوان كتابها «بلا قيود.. دعوني أتكلم». وبعض المذكرات يتحول إلى تاريخ حقيقي كما في «سباعية» إسماعيل فهد إسماعيل. وفي كل الأحوال، تبقى المتعة كاملة في النظر من ثقب الباب إلى حيوات الآخرين، حتى لو كانت الأبواب والشبابيك مُشرَعة.

* باحث وكاتب سوري

---

1 - دار كلمات للنشر والتوزيع، (الطبعة الأولى 2018 - الكويت).

2 - دار رياض الرّيس للكتب والنشر، (الطبعة الأولى،1991 - لندن).

3 - في شهر سبتمبر من كل عام، يتم توزيع جوائز نوبل للحماقة. وفي فئة التعليم لعام 2023، ذهبت الجائزة إلى فريق يدرس عامل الملل لدى المعلمين والطلاب. وتلقى الفريق مكافأة مالية 10 تريليونات دولار زيمبابوي (تساوي 0.027 دولار).

تشكيل الشخصية في روايات خالد النصرالله

د. كمال عبدالرحمن *

لا شك في أن الرواية هي فن الشخصية، وأن هذه الشخصية هي المحرّك الفعّال لأحداث النص السردي، وهي في كل ما نقوم به من أفعال وأقوال، ينبغي أن تكون ممكنة الحدوث، أو التماثل مع واقع الحياة اليومية التي يحياها البشر بالفعل، والروائي البارع هو الذي يستطيع أن يخلق شخصيات متفردة ذات ملامح فنية خاصة، تجعل الشخصية خالدة في ساحة الأدب العظيم.

ويقول ميشال بوتور: يعلم كل منّا أن الروائي يبني شخصياته شاء أم أبى، انطلاقاً من عناصر مأخوذة من حياته الخاصة، وأن أبطاله ما هم إلا أقنعة يروي من ورائها قصته، من خلالها بنفسه، وأنّ القارئ لا يقف موقفاً سلبياً محضاً، بل يعيد من جديد بناء رؤية، أو مغامرة ابتداء من العلاقات المجمعة على الصفحة، مستعيناً هو أيضاً بالمواد التي بين يديه، أي ذاكرته، فيضيء هو الحلم الذي وصل إليه، بطريقته هذه كل ما يغشاه من الإبهام.

ويمكن رصد 6 أنماط من الشخصيات في روايات النصرالله، كل محور يحتوي على عدد من الشخصيات المختلفة،

ولكنها تعمل ضمن شرط المحور العام، وعلى النحو الآتي:

المحور الأول (شخصيات هامشية)

ففي رواية زاجل، تسيطر شخصيتان على مسارات السرد والحبكة، الأولى شخصية بيشويّ، والثانية شخصية العم، فالكتاب كله يتحدث عنهما وفيهما ومن خلالهما، إذ رصدهما النصرالله بعين القنّاص أو الصقر المحترف، وفي مهنية سردية عالية، قدّمهما الى المتلقي كباقات إدهاش صعقت القرّاء بما تمتلك هذه الرواية من حرفية خاصة في الحكي، وما تحمل بين طياتها من «كاريزما السرد» وجاذبية الكتابة وسحر الطرح الأخّاذ. غامر النصرالله، واقتحم العقبة، ودخل عالم الإدهاش والصعق وخرج منه بحكاية لا تشبهها حكاية، وبمأساة لم يكن ليطّلع عليها أحد لولاه، ولولا تفرّده من خلال هذه الرواية.

فمن خلال تحليل تفكيكي للنص، نجد أن الروائي قد فكّك جوانب من فعاليات المجتمع الكويتي، وأظهر الشاب بيشويّ (المصري اليتيم المسيحي المجهول الهوية)، وهو يقع في دائرة التهميش مرتين؛ الأولى كونه غريباً عن الكويت، والثاني وقوعه في دائرة التهميش الداخلي لبعض فئات المجتمع بالكويت، وهي ظاهرة (البدون)، وقد شهدت هذه الظاهرة خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة رفضاً صريحاً، من خلال محاولات جريئة وشجاعة قام بها قبل بعض الروائيين في رواياتهم، أمثال «ساق البامبو» لسعود السنعوسي، و«في حضرة العنقاء والخل الوفي» لإسماعيل فهد إسماعيل، و«سماء مقلوبة» لناصر الظفيري، وهذه الرواية للنصرالله، ويعيش بيشويّ مع عمه المجهول المهمش أيضا لكونه مصرياً، ثم تنكشف الحقيقة بأنه عمّه بالتبني وليس بالنسب الحقيقي.

المحور الثاني (شخصيات تخييلية/ فنتازية)

إن واحدة من أصعب مهام السارد، هي اشتغاله على التخييلي أو الفنتازي، ويعدّ مصطلح الفنتازية مصطلحاً واسع المدلول (الخيال/ التخييل/ الوهم/ حلم اليقظة/ العصاب الذهني / الخرافة/ الأساطير/ الأحلام... الخ) هذه جزء من عائلة الفنتازية، «أي كل ما هو غير واقعي وغير منطقي»، وذكر دانتي في كتابه «الوليمة» أن «الفنتازية تشبيه لحلم العقل»، وهي «جنس أدبي خطابي، يتولد من حالة التردد الذي يعتلي الشخصية

الدرامية، عند مفاجأتها بحدث خارق، مما ينتج موقفين مختلفين؛ إما غرائبي، إذ يمكن تفسير الخوارق باعتبارها وهماً خيالياً، أو عجائبي، إذ لا يمكن تفسير الخوارق بالعقل».

وهكذا يتضح دور الفنتازية في تقديم شخصيات صعبة مركّبة خيالية، يتحمّل السارد عبء صناعتها وإدخالها في الحكبة والصراع، ورسم جدلياتها وصراعاتها وإتقان دورها حتى النهاية.

أما التخييل فهو الفعل الأهم في البنية الأدبية، السردية على وجه الخصوص.. فهو الذي يؤثث النص بالشخصيات والوقائع والأمكنة والأزمنة، والهزات التي تمنحنا، نحن القراء، انطباعًا عميقًا بالحقيقة التي ليست في النهاية إلّا حقيقة افتراضية لا تتعدى عتبات الأدب والنص المقروء... لكن قوة التخييل تدفع بها إلى الأمام، حيث تتحول إلى حقيقة ملموسة، على الرغم من أنها لا تنشأ إلّا في سياق التجريد اللغوي.. أكثر الواقعيات تشددًا وارتباطًا بالواقع الموضوعي والحقيقة المجردة، لم تستطع أن تتخلص من فعل التخييل، بل كان دومًا ركيزتها، وإلا خسرت مشروعها الأدبي، القصصي والروائي والحكائي.

فمن خلال مجموعة ضغوط تضرب بيشويّ من جميع الجهات، تضعف روحه، وتتحلل شخصيته، فيتحول الى كائي ضوئي هلامي، بل الى كائن موجي، لا تلمسه أو تخترقه الماديات، فهو يسير في الشوارع وتخترقه السيارات دون أن تمس شيئاً منه أو تؤذيه، وهذا الكائن الضوئي هو رد فعل للحصار الكبير الروحي والنفسي الذي تعانيه شخصية بيشويّ، وهذا يؤكد لجوء الشخصية من الواقع إلى الافتراض في حالات عدة:

«أنت كائن ضوئي: تخترقك سيارة الآن متجهة نحو الشارع الضيق الممتد، متجاوزة بذلك الفندق والشارع المتفرع، تتفادى الرافعة ذات الرقبة الطويلة، والتي تنقل الأسمنت وقوالب الحجارة المصفوفة على الرصيف بشكل رزم مكّعبة الى أعلى البنايات الجديدة العملاقة، السيارة تتفادى عجل الرافعة المغروسة في الأسفلت، والتي تسدّ نصف الشارع، الشارع ضيق وممتد وبنايات عملاقة تحرسه، هناك سيارات مركونة على جانبَي الشارع، السيارة التي اخترقتك تدخل بينها»، وما تحوُّل بيشويّ الى كائن ضوئي سوى نوع من الحرية أو تنفيس الشخصية عن كربة (الغربة) و(البدون) معاً، فهو يهرب أحياناً من واقعه ليدخل في داخل نفسه، ويغوص داخل أحشائه، وكأنه يبتلع نفسه من شدة الغيظ والقهر العظيم، فهو يعيش حالة تشبه الموت، أو الموت البطيء، أليست «الغربة» أو «البدون» سوى نوع من أنواع الموت البطيء؟!

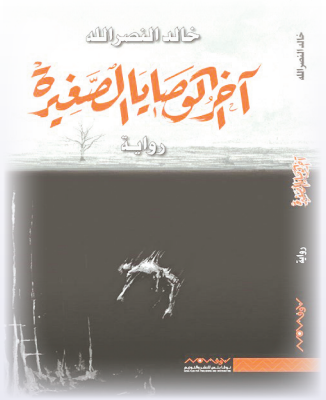

المحور الثالث
(شخصيات غرائبية)

خير مثال على غرائبية الشخصية في روايات النصرالله يتمثل في شخصية المجنون في رواية «آخر الوصايا الصغيرة»، هذه الشخصية الغريبة المريبة التي تخرج من العدم، كل شيء فيها مريب وغريب، ويطلب صاحبها من الشيخ طلباً في غاية الغرابة:

«قال أريد أن أنتحر، ثم سكت لثوانٍ بدا فيها متأثراً. أكمل: وأريد شخصاً ثقة يوصل هذه الورقة لأبي».

قلت له على سبيل التأكد: تريد أن تنتحر؟!

- لا.. لا.. تنصح أنا سأنتحر، لا تنصح.

قلت لا تنصح.

ومدّ يده مجدداً نحو لحيتي. قلت: لن أنصح. ثم كررت مثله: لن أنصح، لن أنصح، انتهى الأمر، بما أن في هذه الورقة اسمك وعنوان البيت ورقم الهاتف وجميع بياناتك. غدا بإذن الله ستكون عند والدك»، ومن هنا تبدأ محاولات الشيخ حسن لإنقاذ المجنون من جنونه.

المحور الرابع
(شخصيات اجتماعية/ عاطفية)

من الشخصيات المؤثرة في روايات النصرالله، شخصية المرأة المكافحة زوجة الرجل الميت في رواية الدرك الأعلى، حيث تشتبك هذه الشخصية الاجتماعية مع عالم الصعوبات والمشاكل التي واجهته بعد موت زوجها:

«لا تخشى ليلى لائمة أحدهم إذا علم أنها تخرج من البيت خفية وراء نقاب، البقاء في شقة طوال أربعة أشهر. أمر لا يحتمل. تفكر في المسؤوليات الضخمة الملقاة على عاتقها. تربية الطفل. وتلبية حاجات المنزل ومسؤولياته، مواجهة الورثة، واتهامات حيال التسبب بمقتل زوجها، يلفّها شعور في اللامبالاة، الأحداث بتتابعها السريع، نبوءة الطالبة، غموض حادث الوفاة، حلم الزيارة الأولى، الإقامة المفروضة رفقة وليد والخادمة، قدرة مشاهدة الموتى لدى الطالبة، حلم الزيارة الثانية، تهديد والد الرجل الميت».

فقد كانت ليلى قد وقعت بين نارين؛ الأولى: فقدان الزوج الذي هو عماد الحياة في بناء البيت والمحافظة عليه، والثانية: موجات الانكسار والضياع والتحديات التي كانت تواجهها باستمرار، مما اضطرها الى مغادرة البلاد والعيش في غربة لن تغنيها عن وطن ومسقط رأس وهوية لا تنمحي بالسفر والإقامة الطويلة أو الدائمة مدى الحياة.

المحور الخامس
(شخصيات واقعية سحرية)

في روايات النصرالله، تجد أمثلة سردية متعددة من الشخصيات التي تتنقل من الواقع الى العجائبي والسحري، ثم تعود مرة أخرى إلى الواقع، لكونها نماذج بشرية حقيقية وقع عليها سحر السرد، وعجائبية الحدث، ففي رواية الدرك الأعلى، ثمة شخصيات متحولة من المنطق الى اللامنطق تحت تأثير سحر الفكرة وعجائبية الدلالة، ربما نصل الى فكرة «الموتى الأحياء» التي طالما سمعنا عنها وقرأنا الكثير من نماذجها من خلال واقعية سحرية عجيبة:

«أمام باب شقتي الآن. التجربة الأولى للانتقال الآني. نعم. هذا مصطلح مناسب. كان الباب مغلقا. ويبدو لا أحد في الداخل. بفعل آخر صرت في الشقة. فمن المقرر علينا - نحن الأموات - ألا نؤثر مباشرة في الماديات». كأن افتح الباب مثلا. وأيضا لا نخترق الأشياء كما تخيل الإنسان في فرضياته، لا أحد هنا كما توقعت، لكنّ الفوضى تعمّ المكان، سلة الألعاب الخاصة بوليد مرمية ومحتوياتها مبعثرة على الأرض، غطاء الفراش غير مرتب، الستائر مغلقة، الشقة مظلمة»، تشكّل هذه الحادثة العجيبة - عودة الموتى الى الحياة بعد الموت - ظاهرة سردية عجائبية في هذه الرواية، وتدخل الواقعية السحرية اليها من خلال «العجائبية» التي صاغها السارد بتقنية فنية رائية، تشد المتلقي الى طرح إجابات لأسئلة يثيرها السارد من خلال «سحر النص»، ومن خلال أسئلة أخرى مثل «لماذا وكيف ومتى»، لماذا يخرج الروائي من الواقع ثم يعود اليه من خلال حياة أخرى؟

المحور السادس
(شخصيات إنسانية)

إن صناعة الشخصية في كتابات النصرالله، هي محاولة غير تقليدية لإنتاج كائنات تضرب عميقاً في جذر الإنسانية، رسالتها (العلم والعقل) بصفتيهما توأمين لا ينفصلان، وضرورة قصوى من ضرورات الحياة، ينشغل خالد بتصنيع الشخصيات، ثم يبتكر لها واقعة عينية أو نفسية أو تخييلية، ثم يراهن على قدرتها في تطويع الحاضر تحت وابل من الأسئلة التي ينزفها النص، وفي النهاية تكون سردياته عبر شخوصه نماذج رائية لزمن مرئي.

في رواية الخيط الأبيض من الليل، يمتشق خالد جدلية الإيجاب والسلب، فشخصية «السلطة الفكرية» هي كل الخطأ، وشخصية «المدقق المثقف» هي الإنسانية بعينها:

«إن الموظفين يتأملون حين يمنعون كتاباً، وهذه حقيقة غير قابلة للتشكيك، بل يجدر القول إنهم يتعذبون باستمرار في هذه المهنة القاسية، وإن تفاوتت درجات الألم من شخص الى آخر»، فالمدقق الذي قضى حياته في قراءة الكتب، وغير الكتب حتى لو كانت على شكل قصاصات، فقد تشكّل لديه وعي إنساني وثقافي، جعله من خلال وظيفته يرى الكتب التي يتم رفضها أو حرقها كأنما هي بشر يتم قتلهم وحرقهم، فكل كتاب هو حياة جديدة للإنسان، ولا ينبغي القضاء على هذه الحياة:

«كان ذلك آخر ظهور محتمل. لقد اختفى تماما. تلاشى في الغسق. يشهد عليه فقط نص رواية محفور في الجدار ومجموعة كتب ينقصها كتاب المكتبات. ولشدة غموض غيابه. ظن الناس أنه صار شخصاً عادياً يحمل اسماً آخر وليس في استطاعته الكتابة، وربما القراءة»، وهذا التحول النوعي في شخصية «المدقق» من إنسان «عالم» إلى «إنسان» جاهل لا يقرأ ولا يكتب، لا يتأتّى إلا عن طريق حجب حرية الحياة عن الكتاب، والتي تشبه إلى حد ما حجب الحياة عن أي إنسان له الحق في العيش.

* أديب وناقد عراقي

موت «موت المؤلف»

عبدالرحمن حلاق *

عن القصدية في التأليف والموقف الأخلاقي للكاتب وآليات بسط السلطة على القارئ.

تظهر اللغة في الرواية مدروسة ومنتقاة بعناية - أو هكذا يجب أن تكون - والروائي يدرك الدور الفعال للكلمة في توجيه وتكوين الأنساق المعرفية. أو على الأقل قدرتها في إحداث بعض الانزياح في مساراتها المستقرة. وبالتالي يدرك ما تختزنه الكلمة من قوى وقدرات خاصة قادرة على التغيير في بنية القناعات المستقرة لدى القارئ.

ولكي يتسنى للمبدع القيام بهذا الدور، فقد كان لزاماً عليه أن يختار الأسلوب الأمثل والشكل الأمثل لفكرته كي تصل إلى المتلقي وتفعل فعلها في تكوين رؤيته المعرفية وحتى الأيديولوجية، بُغية دفعه باتجاه تبنّي الفكرة المعروضة، وبالتالي تتشكل في داخله القناعة الدافعة للفعل التغييريّ الذي تحلم به رسالة النص، وهو إذ ينوّع في تقنياته الأسلوبية التي تهدف إلى إمتاع القارئ، فإنما يريد من وراء ذلك إيصال فكرته عن طريق اللعب.

وقبل الانتقال إلى ما نرمي إليه، تجب الإشارة إلى أن العملية النقدية ترتكز على ثلاثة أسس لا غنى عن أي منها؛ وهي (المؤلف. النص. المتلقي)، وهذا يتسق إلى حد كبير مع تعريف الناقد سعيد يقطين للنص من حيث كونه «بنية دلالية تنتجها ذاتٌ (فردية أو جماعية) ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة». (1)

وبناء عليه يغدو الحديث عن موت المؤلف ضرباً من الخداع والاحتيال على القارئ، وحالة استغلالية خبيثة لفكرة «موت المؤلف".

وإذا أردنا التحديد أكثر، فيمكننا القول إن الكاتب هو الذات الفردية المنتجة للنص، فهو من رسم الأحداث، وسرد القصة، وسيبقى حضوره في النص الأقوى، وستبقى تعليقات فلوبير وجويس على المؤلف سارية المفعول أبداً (على الفنان أن يكون في عمله كما الله في الخلق، غير مرئي، وكامل القدرة، وأن يُحَسَّ به في كل مكان، لكن لا يُرى). (2)

فالكاتب تؤرقه فكرة أو حالة أو واقع ما، وتتشكل لديه رسالة ما، يود إيصالها، فيكون النص الروائي - أو أي منتج إبداعي آخر - وكي يتمكن الكاتب من إيصال فكرته نراه يلجأ إلى تقنيات إبداعية متعددة، منها ما يمكن أن أصطلح له بـ «الزمن المستعار» كأن يتناول شخصية تعيش العصر الحديث بمفاهيم وأساليب القرون الماضية، وأيضاً التقنية الأخرى التي ارتأيت أن أصطلح لها باسم «التورية السردية»، كأن يتناول عصراً ماضياً بكامل شخوصه ليضيء واقعاً معاصراً، مثلما فعل إسماعيل فهد في روايته «الكائن الظل» على سبيل المثال.

وكلتاهما تقنيتان تنوسان بين فكرتَي «الهدم والبناء»، وهما طرفا معادلة لا يخلو منهما أي نص إبداعي على وجه الإطلاق، ففكرة الهدم قائمة في كل نص، كذلك فكرة البناء، تتناوبان الحضور بشكل طاغ، بحيث يحدد «الاستهلال» - غالباً - في كل نص أسبقية هذا الحضور، فإن تناول الاستهلال حالة الهدم بداية، فسنرى أن النص الإبداعي يسير باتجاه بناء جديد والعكس صحيح في ذلك.

والاستهلال هو تلك «البداية المولدة والمهيمنة، والحاضنة لما سيحدث في النص»، حسب تعريف الناقد ياسين النصير. (3)

وكلتا الحالتين (الهدم والبناء) يشترط حصولهما وجود هادم أو بنّاء، وهو هنا الذات المبدعة المعينة (المؤلف)، ومن هنا يأتي الحديث عن القصد منطقياً ومبرراً، أكان القصد لاشعورياً أو كان عقلانياً واعياً، أو كان القصد قصد النص من حيث كونه متوالية ملفوظات على شكل جمل تختزل في طيّاتها معنى.

أما عن علاقة ما سبق بالقارئ، فعلينا بداية أن نعلم أن مفهوم «القارئ» لم يعد ذلك الشخص الذي ينتهي إليه النص مكتوباً، وفي الواقع لم يكن ذلك الشخص يوماً من الأيام، وعندما يقال إن القارئ هو المقصود النهائي من النص، وأن النص يعلن عن وجوده بين يدي القارئ، فهذا يعني أن القارئ موجود في ذهن الكاتب لحظة الكتابة، مثله في ذلك مثل الرقيب القابع في ذهنه أيضاً، الفارق بينهما أن العلاقة بين الكاتب والرقيب يؤطرها الخوف وينجم عنها بعض الحذف وبعض التوريات البلاغية، أما علاقة القارئ مع الكاتب فمختلفة كلياً، فالكاتب يتحاور مع القارئ في معظم جزئيات عمله، حتى قيل عن القارئ إنه (المؤلف الضمني)، بيد أن هذا التحاور المستمر طوال مرحلة الكتابة ليس تحاوراً ندياً، إنه أشبه بجلسات التفاوض وفضّ النزاعات التي يتخللها الكثير من محاولات المناورة والالتفاف على جزئيات محددة يحاول الكاتب - كونه يمتلك اللغة - أن يفرضها على القارئ أثناء استعراضه مجمل وجهات النظر المختلفة لشخصيات الرواية، وذلك لما تمتلكه اللغة من قوة خفية قادرة على الهدم أو البناء، حسبما تتطلب رؤية الكاتب، وتتبدى اللغة في هذه الحالة كأقوى سلاح يستخدمه الكاتب لبسط سلطته على النص كي يتمكّن النص من بسط سلطته على القارئ. بينما لا يمتلك القارئ سوى سلطة التأويل، وسط وابل من مغريات الإقناع التي يتفنن بها الكاتب، وهذا يجعلنا نقتنع مع هنري جيمس بقوله: إن ما يفعله المؤلف هو أن (يصنع قارئه بالطريقة نفسها التي يصنع فيها شخوصه)،

عبدالرحمن حلاق

(4) وهذا يتطلب من الكاتب ذكاء خاصاً في تعامله مع المتلقي، إذ يجب عليه تحيين قربه أو ابتعاده عن معايير القارئ العاطفية أو العضوية، تماماً مثلما يجعل من (رواته داخل النص) يقتربون ويبتعدون عن هذه المعايير ذاتها. وبذلك يضمن تحقّق المقصود النهائي من النص (الإقناع).

وأمام هذه الأسلحة المتعددة التي يمتلكها الكاتب، ويتفنن في استخدامها وهو يصوغ نصه الروائي، لا بدّ للمتلقي (القارئ) من التساؤل والبحث الموضوعي عن الموقف الأخلاقي للكاتب، تماماً كما يبحث المستهلك عن مصدر السلعة وعن منشئها قبل الشراء، فقط ليضمن ويطمئن أنه اشترى (رواية نظيفة)، حسب معايير التصنيع الأخلاقي، وليس حسب المعنى الساخر الذي قصده الروائي فواز حداد في إحدى مقالاته.

فالنص الروائي في محصلة الأمر هو نتاج ذات الكاتب، وكثير من الكتاب العرب المعاصرين هم صورة صادقة لمجتمعاتهم التي تعصف بها الصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتتلاعب في رؤوسهم أحلام الثراء والشهرة، ومن البدهي أن تزلّ أقلامهم حسب متطلبات هذه الأحلام، في ظل غياب شبه تام للنقد الموضوعي.

* قاص وروائي سوري

---

1 - «انفتاح النص الروائي. النص والسياق» سعيد يقطين - المركز الثقافي العربي ط2 / 2001، ص 32.

2 - مدخل إلى علم السرد - مونيكا فلودرينك، دار الكتب العلمية 2012 ترجمة باسم صالح حميد، ص 183.

3 - «الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي» - ياسين النصير.

4 - نقل هذا القول وأين بوث في كتابه بلاغة الفن القصصي - ص 57.

طه حسين والقضية الفلسطينية

د. نجاة علي *

من التُّهم الباطلة التي وجّهت إلى عميد الأدب العربي طه حسين، رغم مسيرته التنويرية، «الانحياز إلى الصهيونية».

ولعل أنور الجندي (1917 - 2002) كان أكثر المرددين شهرة لهذه التهمة في العديد من المقالات التي نشرها بعدد من المجلات، خاصة مجلة منار الإسلام، ثم نشر كتابه المعروف «طه حسين... حياته وفكره في ميزان الإسلام» عام 1976، وهو كتاب ينطوي على اتهامات قاسية لطه حسين، تطعن الرجل في وطنيته وعروبته ودينه، ومن بينها كان اتهامه بـ «محاباته للصهيونية».

والمدهش في موقف الجندي، صاحب «المواقف المتناقضة»، أنه لم يصرّح بواحدة من هذه الاتهامات في حياة طه حسين، بل الأكثر ادهاشًا في هذا الأمر - ولعله الولع بالشهرة - لكونه أحد الذين احتفوا بطه حسين، وقد شارك بمقال عنه في عدد خاص أصدرته مجلة الهلال عام 1966 بعنوان «صفحات مجهولة في حياة طه حسين».

لكن مما يؤسف له حقًا، هو أننا وجدنا فريقًا يُعيد ترديد هذه الأكاذيب - سواء عن جهل أو عمد - ويحاول إلصاق تهمة «محاباة الصهيونية» بطه حسين، فذهب البعض إلى أنه طوال حياته الأدبية لم يكتب كلمة واحدة عن فلسطين، وأنها لم تكن حاضرة في وعيه، وأن الخريطة التي عرفها وتمسّك بها لم تكن موجودة فيها، وقد فسّر بعضهم ذلك بأنه - أعني طه حسين - كان معاديًا لفلسطين وللعروبة وكارهاً لها، منحازاً لأوروبا والغرب عموماً، بينما ذهب فريق آخر إلى أن جيل طه حسين - عموماً - لم يتابع ما كان يجري على أرض فلسطين من صراع بين العرب والصهاينة.

والحقيقة أنه بالعودة إلى أرشيف طه حسين، ووفق ما ذكره الكاتب حلمي النمنم في كتابه «طه حسين والصهيونية»، سنجد ما يكذّب هذه الافتراءات، حيث أشار إلى عدد كبير من المقالات لعميد الأدب العربي، نشرها في عدد من الصحف، منها مجلة كوكب الشرق مثلاً، وقد توقّف عند مقالة «فلسطين» (عدد 28 أكتوبر 1933)، ثم «الغريب» (في 4 مارس 1934)، ومنها ما نشره في جريدة الجمهورية، ولعل أشهره مقالة الصلح مع إسرائيل (عدد 4 يونيو 1956).

وقد كتب طه حسين مقالة فلسطين، إثر مظاهرة قام بها فلسطينيون بالقدس في 13 أكتوبر 1933، احتجاجًا على تزايد معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ حيث تجاوزت بقليل، خلال هذا العام، ضعف الهجرات التي تمّت سنة 1932، فقد وصلت إلى حوالي 30 ألفاً، إضافة إلى 5 آلاف سائح أقاموا نهائيًا بفلسطين بشكل غير شرعي، وهو ما تم بمعاونة المندوب السامي البريطاني. لكن هذه التظاهرات قابلتها قوات الاحتلال البريطاني بعنف شديد، فاستشهد بها 12 فلسطينياً واعتُقل العشرات منهم.

ويستنكر طه حسين، في مقاله هذا، ما قام به الاستعمار البريطاني في مصر من ظلم وسفك للدماء، وما يقوم به كذلك في فلسطين وتصدّي الفلسطينيين له، كما ندد بالإنكليز وبالأوروبيين عمومًا، وذهب إلى أن الأوروبيين يحتكمون فيما بينهم إلى الديموقراطية وإلى العدل والقانون، لكنهم مع غيرهم - أي معنا نحن - يفعلون العكس تماماً. والمقال في مجمله يوّجه نقداً حاداً وهجوماً عنيفاً إلى الأوروبيين من جراء ما يفعلونه تجاه الشرق والشرقيين، ويحذّرهم من مستقبل ينهض فيه الشرقيون ويحملون العداء، وربما الكراهية للأوروبيين. وقد ختم طه حسين مقاله قائلاً:

«في ذمة الله شهداء فلسطين، وفي ذمة الله صرعى فلسطين، وفي ذمة الله آلام العرب في فلسطين، فليس شيء مهما يكن، وليس ألم مهما يعظم بكثير في سبيل الوطن، وفي سبيل الحرية والعزة والكرامة والاستقلال».

لكن ينبغي أن نعرف أن ثلاثة مواقف في حياة طه حسين، اتخذ منها أعداؤه سبيلا للهجوم عليه، ولإلصاق تهمة الانحياز إلى الصهيونية به، الأولى تتعلق بإشرافه على رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة تقدّم بها عام 1927 الطالب إسرائيل ولفنسون عن اليهود في جزيرة العرب خلال الجاهلية وصدر الإسلام، والثانية هي إلقاؤه محاضرة في مدرسة الطائفة اليهودية بشارع النبي دانيال بالإسكندرية عام 1943، تحدّث فيها عن «اليهود والأدب العربي». والثالثة ترؤسه لتحرير مجلة الكاتب المصري، التي صدرت لأول مرة عام 1945، وقد كان مؤسسوها من أسرة هراري اليهودية المصرية.

وأما ما يخص رسالة الدكتوراه التي تقدّم بها إسرائيل ولفنسون لجامعة القاهرة، فقد أشرف عليها اثنان هما الشيخ عبدالوهاب النجار (الأزهري المعمم) وطه حسين، وقامت لجنة التأليف والترجمة والنشر بنشرها في كتاب، وهي اللجنة التي ضمّت كوكبة من كبار الكتّاب والباحثين يتقدمهم العلّامة أحمد أمين.

طه حسين

ولو أن الرسالة بها زيفٌ أو تجاوز للحقيقة فيما يتعلّق بدور اليهود لما سكت عنها المجتمع العلمي والثقافي المصري والعربي آنذاك، وقد كان يقظًا ومتابعًا لما يحدث. هذا بجانب أن محتوى الرسالة ذاته كان يتحدث عن عظيم استفادة اليهود من الإسلام والمسلمين.

أما المحاضرة التي ألقاها بمدرسة الطائفة اليهودية في شارع النبي دانيال، وقد كانت كياناً شرعيًا معترفًا به، يعمل وفقاً للقانون المصري، فسنجد أن من بين الحاضرين وكيل محافظة الإسكندرية وعمداء الكليات بجامعة فاروق (الإسكندرية حاليًا)، وهي ما يمنحها صبغة علمية أكاديمية، ثم إنها كانت على أرض مصرية، وحاضروها كانوا من اليهود المصريين الذين كانوا جزءًا من نسيج المجتمع المصري آنذاك، كما أن موضوعها أيضًا كان يدور حول «دور اليهود في الأدب العربي القديم والمعاصر».

أما مجلة الكاتب المصري، التي صدر العدد الأول منها في أكتوبر 1945، ولاقت هجومًا حادًا عليها في الصحافة المصرية واللبنانية، حتى قبل صدورها، فأصحابها كانوا يهودًا مصريين، فعائلة هراري هذه مؤسسة المجلة، وكانت ثرية بطبيعة الحالة، تعود إلى فيكتور هراري (باشا)، الذي تولي الخزانة العامة في عهد الخديو إسماعيل، لم يعرف عن هذه الأسرة أية ميول صهيونية، لا وقت تأسيس المجلة، ولا حتى بعد خروج اليهود من مصر.

* باحثة أكاديمية مصرية

بورخيس: الكتابة قَدَري الوحيد

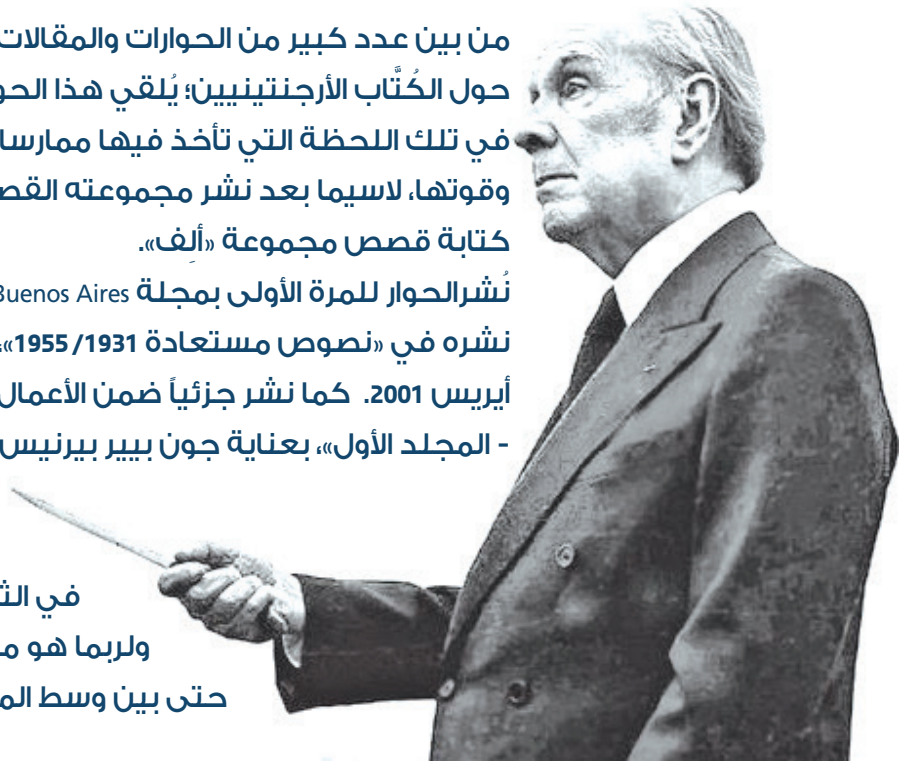

من بين عدد كبير من الحوارات والمقالات التي أنجزتها الجرائد والمجلات الأدبية حول الكُتّاب الأرجنتينيين؛ يُلقي هذا الحوار الضوء على خورخي لويس بورخيس في تلك اللحظة التي تأخذ فيها ممارساته السردية الغرائبية كامل بذخها وقوتها، لاسيما بعد نشر مجموعته القصصية «قصص» سنة ١٩٤٤، واستهلاله كتابة قصص مجموعة «ألِف».

نُشر الحوار للمرة الأولى بمجلة Buenos Aires في عددها الأول عام 1945، ثم أعيد نشره في «نصوص مستعادة 1931/1955»، المنشورة بدار إمسي Emecé في بوينس أيريس 2001. كما نشر جزئياً ضمن الأعمال الكاملة لبورخيس «النسخة الفرنسية - المجلد الأول»، بعناية جون بيير بيرنيس، في إطار سلسلة لابلياد المرموقة سنة 1993.

ويُعدّ الحوار من النصوص غير المعروفة في الثقافتين العربية والغربية حتى عام 2012، ولربما هو مجهول إلى اليوم في ثقافتنا العربية، حتى بين وسط المهتمين ببورخيس.

ترجمة وتقديم: نبيل موميد*

● لماذا تمارسون الكتابة؟

- لأنني لا أستطيع ألّا أكتب من دون ذاك الإحساس المخصوص بسوء الطالع الذي ينتج عن الجبن والخيانة. أخال نفسي أحسن من الكتّاب الآخرين منطقاً وابتكاراً، بيد أنّي على يقين من أن أغلب الكتاب هم أحسن منّي، وأنهم يمتلكون فصاحة عفوية تستعصي عليّ؛ بحيث لا يمكنني البتة تحصيلها بواسطة التأمل، ولا من طريق العمل، ولا من خلال اللامبالاة، ولا حتى عبر الحظ السعيد.

في الحقيقة أنا أكتب، لأن الكتابة - بالنسبة إليّ - قدري الوحيد (حقيقة أعلمها منذ نعومة أظافري). وفي سبيل خلاصي، لن يفيدني الانتصار في معارك معيّنة مثل جدي الأكبر سواريز - Suarez، أو الموت مصلوباً كالمسيح المخلِّص، أو خيانة المسيح من أجل أجر زهيد، كما قام بذلك يهودا الإسخريوطي – Judas Iscariote؛ يهودا الذي حكم عليه قدره الغامض بالخيانة.

لكل رجل قدَرُه المخصوص، بعيداً عن الجوانب الأخلاقية؛ حتى أن هذا القدر يكون بمنزلة خاصية تطبعه (كما قالها هيراقليطس - Héraclite، منذ أكثر من ألفين وخمسمئة سنة في آسيا الصغرى). بل إن هذا القدر هو الإيتيقا السريّة للإنسان؛ وبهذه الطريقة أستطيع تأويل القول المأثور الذي نقرؤه على الغلاف المزيف لكل جزء من الأجزاء الأربعة لكتاب تاريخ سان مارتان: «ستكون ما يجب أن تكون عليه، وإلّا لن تكون أي شيء». (كان أبي يناقش معي تأويلي لهذه القولة؛ حيث أكد أن سان مارتان قال بشكل أو بآخر: ستكون ما يجب أن تكون عليه - ستكون رجلاً، مسيحياً، وأرجنتينياً، وعضواً في نادي جوكي (Jockey)، ومعجبا بأوريبوري - Uriburu، ومحباً للمساحات الريفية الشاسعة لمنطقة كيروس Quiros (الإسبانية) - وإلا لن تكون أي شيء - ستكون يهودياً، أو فضولياً، أو مجرد فظّ، أو مساعد؛ حيث لن تعرف اللجنة الوطنية للثقافة شيئاً عن كتبك، ولن يرسل لك الدكتور رودريغيزلاريتا Rodriguez Larreta كتبه المزينة بإهداء خاص (لك)... أظن أن أبي كان على خطأ).

● خَبِّرنا عن أكبر طموحاتكم الأدبية.

- تأليف كتاب، فصل، صفحة واحدة، فقرة، تكون برمتها موجهة للإنسان، مثل قديس - أو رسول - (كورنثوس الأولى، الإصحاح التاسع، الآية 22) يزدري في ذات الآن، من عاداته، ما يمقته وما يفضله؛ حتى إنه لا يُلمّح لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا المستمر غير المنقطع (المسمى) خورخي لويس بورخيس، الذي وُلد في بوينس أيريس، مثلما كان بإمكانه أن يرى النور في أوكسفورد، أو في بيرغامون (بتركيا)، والذي لا يتغذى على ما أكرهه ولا على وقتي أو لطفي. إنه يحافظ (بالنسبة إليّ كما بالنسبة إلى الجميع) على زاوية تُغَيّر باستمرار من إعتامها، وتتماهى بشكل ما مع الماضي، وكذلك مع أسرار الغد. كما لا يمكن للتحليل أن ينهكه؛ فهو الزهرة من دون تساؤل، الزهرة الأفلاطونية اللازمنية في الرحالة الملائكي لسيليسيوس - Silesius.

● ماذا تُحضِّرون الآن؟

- أشتغل - من أجل المستقبل البعيد والإشكالي - على نص حكائي طويل، أو قصة قصيرة سأعنونها بـ «المؤتمر»؛ حيث ستجمع بين أسلوبي كل من وايتمان - Whitman، وكافكا - Kafka (لن أستطيع في الوقت الراهن أن أقدّم معلومات أكثر). وفي القريب العاجل، أحضِّر قصة غرائبية تدور حول مدينة يقطنها خالدون، ستضع صورها ليتيزيا ألفاريز دو توليدو – Letizia Alvarez de Toledo. إضافة إلى قصة رمزية (على شاكلة بعض إنتاجات الكاتب البريطاني براونينغ Browning (1812-1889)، والمستلهمة من إحدى فقرات رينان - Renan؛ حيث سأتخذ لها عنواناً ابن رشد. كذلك، ثمّة قصة غرائبية حول تيمة العود الأبدي، والتي سأضع لها - إن لم أكن مخطئاً - عنوان مُترجِم هِيوم.

أضيف إلى كل هذا قصة تدور حول مهربين تجري أحداثها سنة 1890 بالقرب من أرابي Arapey، وقصة بوليسية بالتعاون مع أدولفو بْيُوكَا زاريس Adolfo BioyCasares؛ حيث سيكون أبطالها هم إيزيدْرو بارودي، وجيرفازيومونتينيغرو، ومارسيلو ن. فروغمان (وهو بمنزلة صيغة مبالغة بلاغية لسفاستانو)؛ التي لم أحدد عنواناً لها بعد.

* باحث مغربي

افتتاح معرض الكتاب الـ 46 بمشاركة 29 دولة

افتتح معرض الكويت الدولي للكتاب دورته الـ 46 يوم الأربعاء 22 نوفمبر الماضي، برعاية رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ أحمد نواف الأحمد، بمشاركة 29 دولة عربية وأجنبية.

وقالت الأمينة العامة المساعدة لقطاع الثقافة بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عائشة المحمود، إن «النسخة الـ 46 من المعرض تتضمن العديد من الأنشطة والفعاليات التي سعى «الوطني للثقافة» إلى أن تكون بمستوى يليق بطموح الشعب الكويتي ونسخة أفضل من المعرض في كل مرة. وبيّنت أن المعرض هذا العام يتزامن مع احتفالية المجلس بمرور 50 عاما على تأسيسه، مما يضيف طابعاً خاصاً على فعاليات هذه النسخة من المعرض».

من جهته، قال مدير المعرض، خليفة الرباح، في كلمة مماثلة إن المعرض يستمر حتى 2 ديسمبر الجاري، وتشارك فيه 29 دولة؛ منها 18 عربية و11 أجنبية، إضافة إلى مشاركة 486 دار نشر، منها 384 دار نشر مشاركة بشكل مباشر و102 مشاركة عبر توكيل لدور نشر مشاركة في المعرض.

وبيّن أن عدد الكتب المسجلة في الاستعلام الآلي للمعرض بلغ 171 ألف عنوان، من ضمنها 11 ألف عنوان حديث، مشيراً إلى تخصيص مركزين للاستعلام الآلي للجمهور، كما يمكن البحث من خلال الهاتف عبر موقع المعرض الإلكتروني، أو عن طريق رمز الاستجابة السريعة (QR code) الموجود بأجنحة دور النشر المشاركة.

من جانبه، قال رئيس لجنة رواق الثقافة، محمد المغربي «إن هذه النسخة من المعرض لها طابع خاص، وهو احتفالية المجلس باليوبيل الذهبي لإنشائه، ومنه انطلقت مسيرة ثقافية امتدت على مدار نصف قرن. وأضاف المغربي أن المعرض تصاحبه احتفالية ثقافية تحت شعار «نهج ثقافي مستدام»، إيمانا باستمرارية العمل الثقافي الكويتي ودوره الفعال في المشهدين الخليجي والعربي.

وذكر أنه تم اختيار الشاعر الكويتي فهد العسكر ليكون شخصية الاحتفالية وتميمة المعرض احتفاء بموهبته الفذة ومكانته الشعرية الرائدة، مبينا أن «الفنان والمؤدي حسين دشتي شارك بتجسيد شخصية الشاعر فهد العسكر».

وأفاد المغربي بأن الاحتفالية شملت أنشطة أخرى مثل «العازفون الهواة - جدارية الفنانين - أنت نجم الغلاف - المجلس في صورة - ألعاب تفاعلية - تصفّح الإصدارات الأولى - مناظرة النشر الورقي والإلكتروني - مسابقة جوائز الطلبة المبدعين».

اتحاد الناشرين العرب يطلق مبادرة لدعم الناشرين في غزة

أطلق اتحاد الناشرين العرب مبادرة لدعم الناشرين في غزة، لتخفيف الآثار الناجمة عن القصف الإسرائيلي للمنشآت الحيوية في القطاع المحاصر.

وأوضح الاتحاد في بيان، أن «المبادرة تشمل فتح باب التبرع من الناشرين العرب لنصرة الناشرين في المناطق المتضررة من آثار القصف الإسرائيلي».

وأضاف أن بداية حملة التبرع جاءت من أعضاء مجلس إدارة الاتحاد، مشيراً إلى أن الاتحاد سيخاطب رؤساء الاتحادات الإقليمية المنضوية تحت مظلته لفتح باب التبرع.

ولفت إلى أن باب التبرع سيُفتح لأعضاء الاتحاد، مع بدء معرض الكويت للكتاب.

وأكد الاتحاد أن جمع التبرعات سيكون بالتنسيق مع اتحاد الناشرين الفلسطينيين، موضحاً أن المبادرة ستستمر خلال المعارض العربية القادمة.

وقد دان الاتحاد ما وصفها بـ «المجازر الوحشية ضد شعبنا في غزة والأراضي الفلسطينية، وتدمير للبنية التحتية وآلاف المساكن والمؤسسات والمستشفيات».

إصدارات

الحياة المريبة للجثث البشرية

الكاتب: ماري روتش
المترجم: إيمان معروف
دار النشر: منشورات تكوين

«الموتُ ليسَ مملًا بالضَّرورة»... هذا ما تفتتحُ به الكاتبة والصحافية الأميركية ماري روتش كتابَها، فتتقصَّى وتناقشُ في سياقٍ تاريخيٍّ وأخلاقيٍّ ومنطقيٍّ، وعلميٍّ كذلك، في رحلة عجائبيةٍ ومثيرة، ومقززة أحيانًا، لتطلعنا على خلاصة ألفَي عامٍ من استغلال الجثث البشرية في الدِّراسات الطبية التشريحية، والتحقق من الادّعاءات التاريخية والدينية، وتطوير العلوم العسكرية، وصناعة السيارات والطائرات والأبحاث الكثيرة المذهلة، والمريبة، التي تحاول كلُّها التوصل إلى طريقة مُثلى للتخلص من الجثث البشرية على نحو مفيدٍ وعمليٍّ، فضلاً عن الأبحاث التي تتطرَّق إلى أصل الرُّوح؛ وصولًا إلى علم زراعة الأعضاء الذي حقَّق طفراتٍ مذهلةً في القطاع الطبي، كما لا يخلو الكتاب من الطرافة والفكاهة التي تعتمدها الكاتبة، لا سيما أمام موضوع أكل اللُّحوم البشرية وثقافات الشعوب السَّالفة بممارسةِ طقوسٍ علاجيةٍ مستخدمةً أعضاء أو مستخلصاتٍ بشرية بشكل لا يتخيَّله العقل.

إنَّه، باختصار، كتابٌ فضول علمي في جزء منه، وطموح استكشافي في آخر، كما لا يخلو من التشويق والاستفزاز والغرابة المُفرطة؛ مما يجعله مادةً دسمةً لعشَّاق كتب الرعب ومواضيع الإثارة.

نجمة.. أولاً وأخيراً

الكاتب: حمد الحمد
الناشر: دار بلاتنيوم

سياق الاحداث يتعايش مع تجاذبات المجتمع، حيث تعرض لكثير من القضايا، فبطل الرواية «فواز» يسقط في بئر الطبقية الاجتماعية، حيث يتلاشى حلمه لسنوات في الاقتران بـ«نون»، وفي الكبر يلاحقها كحلم، وفي فصل آخر مشاهد لإشكاليات الزواج من بيئات مختلفة، حيث بطلة المذكرات «البطة المصرية» تبحث عن جذورها وتحاول أن تتأقلم معها، وفي الرواية إسقاطات لكثير من ملامح مجتمع، حيث المال يُفكك أسراً، وأبو خلف الذي يبحث عن جنسية، وشملان الحفيد وهو يطرق أبواب المحاكم والسير خلف سراب.

والرواية هي العاشرة للكاتب، حيث صدرت له أول رواية «زمن البوح» عام 1997، وحازت المركز الأول في جائزة خليجية، وروايته «الأرجوحة» التي تحولت إلى مسلسل تلفزيوني من إنتاج تلفزيون الكويت، وتتوفر الرواية في معرض الكتاب بجناح دار بلاتنيوم.

«كلّهم أعدائي»

الكاتب: رجاء عليش
دار النشر: منشورات جدل

كتب فيها مرثية تنبئك بأن هذا الكتاب لن يمرّ عليك مرور الكرام، فكتب رجاء عليش وهو يدرك أن تلك آخر رواياته وحياته غالبًا، فقد كتب: أصف لكم نفسي؛ أنا المكروه حتى نخاع العظام... المطارَد حتى آخر حانة في العالم... أنا الضحكة التي لا تفوت على شفاه الآخرين... أنا الذي تمضغه وتبصقه العيون بسرعة المدفع الرشاش... أنا الذي يضطر إلى الاعتذار عن شكله في كل مرة يرى فيها عيناً آدمية... أنا القمر الذي يطل على لا حقل... النجمة الوحيدة التي ترسل بريقها إلى لا عين... أنا الإنسان الموضوع في برودة ما تحت الصفر؛ لكن قلبي ما يزال ينبض بالحياة وعقلي ما يزال يتوهّج بالإشعاعات... أنا الشاة التي إذا ما أرادت الاقتراب من القطيع ردتها عصا... أنا الضائع المضيع... أنا الضياع نفسه.

رابطة الأدباء تشارك بفعاليات ثقافية مكثفة في معرض الكتاب

شاركت الرابطة بفعاليات ضمن الأنشطة الثقافية المصاحبة لمعرض الكويت الدولي للكتاب في دورته الـ 46، الذي انطلقت فعاليات في 22 من الشهر الماضي، وصرّح رئيس اللجنة الثقافية في الرابطة، الكاتب والروائي أحمد الزمام، بأن الرابطة شاركت بفعاليات ثقافية عديدة ومكثفة للإسهام في إبراز الدور الحيوي والمهم للثقافة في حياة المجتمع، من خلال ما تقدّمه من أمسيات ومحاضرات في مقرها بالعديلية، إضافة إلى اتفاقيات التعاون التي تبرمها مع المؤسسات التي تهتم بالثقافة، سواء الرسمية أو جمعيات النفع العام، والجهات الخاصة، ومن أبرزها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

وذكر أن معرض الكتاب سيشهد 10 فعاليات ثقافية، من تنظيم وإعداد اللجنة الثقافية للرابطة، تتراوح بين الأمسيات والمحاضرات والجلسات الحوارية في قاعة كبار الزوار (VIP)، إضافة إلى حفلات توقيع كتب أعضاء رابطة الأدباء بجناح الرابطة في المعرض.

ومن الفعاليات التي أعدّت، جلسة حوارية بعنوان «بين الإدارة والإبداع» يقدمها الأمين العام للرابطة، المهندس حميدي المطيري، وتديرها د. جيهان الدمرداش، وفعاليات افتتاح المعرض أواخر الشهر الماضي: حوارية بعنوان «شعر ونشر» تقديم الشاعرة سارة الزين، وإدارة رئيسة منتدى المبدعين في الرابطة الكاتبة إيمان العنزي، ومحاضرة «أديب البنوة والنسب... (بدايات) لأمين معلوف نموذجاً»، تقديم د. علي العنزي، وإدارة الأستاذ نواف العياشي. ومحاضرة «حياتك نتاج أفكارك» تقديم د. بشير الرشيدي، وإدارة الأستاذ أحمد روضان، وأمسية شعرية للشاعرَين صلاح دبشة وأفراح الهندال، بتقديم الأستاذة آمنة الفودري، ثم محاضرة «فتنة الغفران بين التاريخي والمتخيل»، للكاتب حمود الشايجي والناقد فهد الهندال، وجلسة حوارية بعنوان «الأدب البوليسي والخيال العلمي... تساؤلات ونماذج» للكاتب عبدالوهاب الرفاعي والكاتبة فدوى الطويل، فإضافة إلى «جلسة حوارية للكاتب والمترجم محمد الفولي بعنوان (إشكاليات وتحديات عالم الترجمة)، بإدارة الكاتب والمترجم سالم عادل الشهاب، والجلسة الحوارية «السرد... حكاية الفكرة والأدوات» بتقديم الكاتب عبدالله العتيبي، وإدارة رئيسة أكاديمية الأدب في الرابطة، الكاتبة لوجين النشوان، ومحاضرة «من الرواية إلى التلفزيون»، التي يقدّمها الكاتب محمد العنزي أول الشهر الجاري.

وفي سياق هذه الفعاليات، دعا الزمام الجمهور لمتابعتها وحضور جلساتها، لما فيها من فوائد معرفية وثقافية وأدبية.

فعاليات الشهر الثقافية

م	عنوان الفعالية	المحاضر	الموعد	المكان	الساعة
1 2 3	مناظرة النشر الورقي والإلكتروني بين متعة السينما وتقييمها ورشة «أعود طفلاً لأرسم»	مهدي سلمان مساعد خالد ابتهاج الحارثي	1 ديسمبر	رواق الثقافة معرض الكتاب مشرف	5:30 م 6:30 م 7:30 م
4	من الرواية إلى التلفزيون	محمد العنزي	1 ديسمبر	معرض الكتاب - مشرف	7.15م
5 6 7	إعلان نتائج جوائز الطلبة المبدعين محاضرة: التصوير في السفر الاحتفاء بمرور 25 عاماً على سلسلة إبداعات عالمية	لولوة الخطاف مجموعة متحدثين	2 ديسمبر	رواق الثقافة معرض الكتاب مشرف	5:30 م 6:30 م 7:30 م
8	الصحراء مخجلة!	د. سارة صلاح العتيقي	3 ديسمبر	مركز اليرموك الثقافي	7 م
9	محاضرة باللغة الإنجليزية «الخط الكوني»	د. أحمد مصطفى	18 ديسمبر	مركز اليرموك الثقافي	7 م
10	الملك عبدالعزيز والكويت	حمد بن عبدالله العنقري	25 ديسمبر	مركز اليرموك الثقافي	7 م

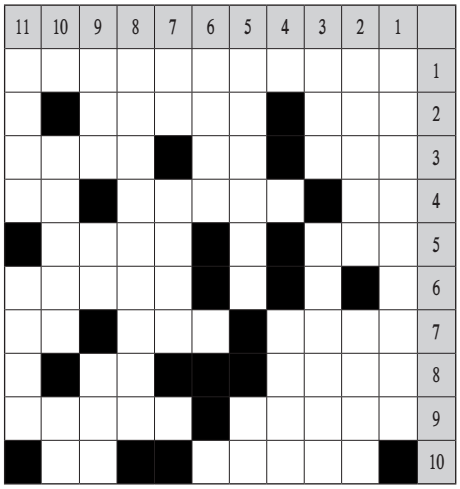

أفقياً:

1 - عالم فلك ورياضيات كويتي
2 - شدة الحر - بلد عربي
3 - أعاد بناء ما تهدّم - من القرى التي خسفها الله (عبرية الاسم)
4 - حرف مكرر - محروم وفقير
5 - عذل - جمع كلمة «سيل»
6 - اسم لكل فعل حسن يعرف بالعقل أو الشرع
7 - غلاف القلب وسويداؤه - لعاب - حرف توكيد
8 - المعتدل بين شيئين، السمسار - محبة
9 - الرائحة الجميلة واسم مدينة في القطيف - مسوّغ وعذر
10 - صوت الزجر - مثيل ونظير

عمودياً:

1 - مؤلف ومخرج وممثل كويتي من مؤسسي المسرح الكويتي
2 - مصدر «أومأ» - الاسم الأول للروائي الفلسطيني «كنفاني»
3 - أدخل الخيط في عين الإبرة - مجاراة وتأقلم
4 - حاذق وماهر
5 - من شعراء المعلّقات - ضمير منفصل لجمع المؤنث الغائب (معكوسة)
6 - الاسم الأول لأحد شعراء المعلقات
7 - من حروف الجر - أوّل مطر الرّبيع
8 - لاعب كرة كويتي شهير لقبه «المرعب»
9 - يفرّ ويشرد ويشذّ - خصب - من الأمراض المعدية
10 - احتاجوا وتضرّعوا - من أعضاء الجسم
11 - يلتزم السكوت - مصباح قوي لإرشاد السفن

لستُ هناك في غزّة

نشمي مهنا*

لستُ على أرضها ولا في مبانيها ولا شوارعها ولا نهارها ولا ليلها ولا في أحلامها الكابوسية ولا في رعبها ولا في الترقُّب ولا في مخاوف النوافذ وما بعدها
لستُ في انهيار الإسمنت ولا ألواح الخشب ولا الحديد ولا المفاجأة
أنا الحياة الشخصية - هنا - عندما يُكتَب لها النجاة؛ طفل يفرّ من الجحيم ومن ضوء الشاشات ويتحسَّس أطرافه.

2

من يبكي أكثر
الطفل الذي يرتجف رعباً في ممرّات المستشفى
أم الأُمّ عندما تكشف أغطية الجرحى،
تبحث عن ملامح غطّاها الدم المتخثّر
أم المُشاهد البعيد خلف شاشات الأخبار؟
طارت عصافير كثيرة في سماء غزّة

3

كنعان لا يدري
قطَع أرض غزّة عرضاً إلى البحر المتوسّط
سكراناً بنبيذ الآلهة
والمعابد التحتية
لم تُوقفه نقطة تفتيش ولا مجنزرة آلية
سهمٌ واحد فقط شطَفَ كتفه الأيسر
فاستمرّ السكران يطوي الطريق ويحفر بحجارة التاريخ.

4

عدد الأحجار في جيب الراعي داوود لا يعني شيئاً في بورصة نيويورك، ولم يسمع بها الـ «وول ستريت"
لم يسمعوا بالعملاق الفلسطيني جُليات، لم يفتّشوا بطاقته الفلسطينية، ولم يمرّروها على جهاز المطار
لم يوقَف جليات في الممرّ بين جبلين في غرفة الجمارك
الحياة سريعة هناك
ولا وقت لديهم لتفويت الفرصة
الأكاذيب وحدها تنحني ببطء، تعُدّ أحجارها، وترسم خطوط الشاشة.

5

من يهدم هذي الخرافة ويقصف الأساطير،
كي يهدأ العالم (يأخذ نفَساً) وينكسر وحش الآلة.

6

كثرت صور الأطفال القتلى في غزّة، كثرت الأذرع الصغيرة المرتخية، كثرت فساتين البنات الملطّخة بالدم الحار، كثرت الجدائل المسخّمة بالغبار والدخان، كثيرٌ هذا، كثير جدّاً
وفائض عن حدّه
لذا، لم نعد بحاجةٍ لصورة أيقونة تُحرّك ضمير العالم.

* شاعر كويتي

لوحة للتشكيلي الفلسطيني إسماعيل شموط